صفات المؤمنين فى القرآن الكريم

أ.د/ محمد محمدعثمان يوسف(*)

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فإن المؤمنين هم الصنف الأول من أصناف الناس كما ورد في القرآن الكريم في أول سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(1).

إذ أن المتدبر للقرآن الكريم يقف أمام ثلاث أصناف للناس : "مؤمن، وكافر، ومنافق". ولقد حددها سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة : روي ابن جريج عن مجاهد قا ل: نزلت أربع آيات في أول سورة البقرة في المؤمنين، واثنتان في نعت الكافرين، وثلاث عشر في المنافقين(2).

ولقد بين العلماء أن الإيمان والإحسان والإسلام نظائر والإيمان نقيض الكفر، وأصل الإيمان التصديق ومنه قوله : ﴿ومَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾(3). أي مصدق، ويقال: أمِن يأمن أمنا، وآمَن إيمانا وأمنا، ويقال : آمن بكذا. فإذا قلت آمن مطلقاً لم يكن إلا لله ﷻ من قول الله ﷻ: ﴿السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾(4). أي يؤمن عباده المؤمنين عقابه (5). وكما ورد في الحديث النبوي فيما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إ له إلا الله وأن محمد رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال : صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: أخبرني عن الإيمان، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك، قال: صدقت... إلى آخر الحديث(6).

وهذا الحديث جمع مراتب دين الإسلام : إذ أن الدين ثلاث مراتب : الإسلام والإيمان والإحسان، وكل واحد منها إذا أطلق شمل الدين كله.

(*) أستاذ ورئيس قسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب - جامعة سوهاج.

(1)سورة البقرة، آية 2 - 5.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،192/1.

(3) سورة يوسف،آية 17.

(4) سورة الحشر، آية 23.

(5) البرهان في تفسير القرآن للحوفى، مجلد 1 قطعة 37.

(6) رواه البخاري ومسلم والكتب الستة "دليل الفالحين"215/1.

ولما كان الإيمان شاملاً للإسلام والإحسان، كان مدار البحث في هذه الدراسة منصباً عليه، إذ أن المؤمنين كلمة جامعة تشمل المسلمين والمتقين، فالله سبحانه وتعالى وصف المتقين و حددهم بأنهم ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾[1]. فوصف المتقين بأركان الإيمان، وأركان الإيمان لا تتم إلا بأركان الإسلام ولذلك حدد العلماء معنى الإيمان بأنه قول وعمل، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويتفاضل أهله فيه . وقد نقل عن بن القيم أن الإيمان من حيث الزيا دة والنقصان ثلاثة أقسام: إيمان يزيد ولا ينقص وهو إيمان الأنبياء، وإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو إيمان الملائكة، وإيمان يزيد وينقص وهو إيمان المؤمنين، وبقي قسم رابع : وهو إيمان ينقص ولا يزيد وجعله بعضهم عقلياً فقط ومثل له بعضهم بإيمان الفساق "[2]. أ. هـ. ولهذا فلابد لمن يزيد إيمانه وينقص أن يتصف بصفات بيّنها سبحانه وتعالى في كتابه الكريم يقول تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّ ا وَمُقَاماً، وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا، وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[3].

ولقد وصفهم الله سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة بالمتقين، وقد خصهم سبحانه بهدايته فقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ لأنهم أمنوا به وصدقوا بما فيه وروي عن أبي رَوْق أنه قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي كرامة لهم؛ يعني إنما أضاف إليهم إجلالا لهم وكرامة لهم وبياناً لفضلهم. إذ التقوى أصلها في اللغة قلة الكلام؛ حكاه ابن فارس. قلت: ومنه الحديث: "التَّقِيُّ مُلجم فوق المؤمن والطائع". وهو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله تعالى[4].

إن الله سبحانه وتعالى ذكر المتقين في أول سورة البقرة في معرض المدح، ومن يكون كذلك أولى بأن يكون متقياً في أمور الدنيا بل بأن يكون م تقياً فيما يتصل بالدين، وذلك بأن يكون آتيا بالعبادات محترزا عن المحظورات. ولذلك روى "لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس ". ويقول ابن عباس في صفة المتقين : انهم الذين يحذرون من الله العقوبة في ترك ما يميل الهوى إليه، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاء منه ... واعلم أن حقيقة التقوى وإن كانت هي التي ذكرناها إلا أنها قد جاءت في القرآن والغرض الأصلي منها الإيمان تارة، والتوبة أخرى والطاعة ثالثة، وترك المعصية رابعاً، والإخلاص خامساً[5].

لكل هذا خصصت هذا المبحث لكشف صفات المؤمنين التي صورها ل نا رب العزة في القرآن الكريم: إذ أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيم نحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية[6].

---

(1) سورة البقرة، آية 3.
(2) تحقيق المقام على كفاية العوام في علم الكلام: للإمام إبراهيم البيجوري، ص79.
(3) سورة الفرقان، الآيات (63-68) .
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 161/1.
(5)التفسير الكبير للرازي، 1/20-21 بتصرف.
(6) مشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب، ص6.

من هذا المنطلق حددت الدراسة ـ قدر الطاقة ـ صفات المؤمنين في القرآن الكريم وقسمتها قسمين: وإن كانت هذه الصفات متداخلة يصعب فصلها، لكننا قسمناها من حيث الأقرب إلى الصفة:

فالقسم الأول الصفات القلبية: ونبحث فيها ما اشتملت عليه هذه الصفات من الإيمان بالغيب ومن أقسامه: الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، ثم التقوى، ووجل القلوب، والخشية والخوف، وكظم الغيظ، وغير ذلك مما سوف تكشفه الدراسة.

وفي القسم الثاني الصفات الفعلية والقولية : ونبحث فيها ما اشتملت عليه هذه الصفات من : العمل الصالح وإقامة الصلاة، و الإنفاق،وذكر الله على جميع الأحوال، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما سوف تبينه الدراسة.

ثم ننهي البحث بالخاتمة ونبين فيها ما توصلت إليه الدراسة من نتائج

والله أسأل أن يجعله ابتغاء وجه الكريم، وأن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، نعمة منه وفضلاً، وأنه على كل شيء قدير وبعباده لطيفاً خبير، وإليه ا لمرجع والمصير وهو مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

أولاً: الصفات القلبية

قبل الحديث عن هذه الصفات لابد أن نلقي الضوء على معنى: التقوى والإيمان.

أ- معاني التقوى ومراتبها : يقول قاضي القضاة أبو السعود في تفسيره : والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه السلام : "جماع التقوى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسَانِ ﴾ الآية، وعن عمر بن عبد العزيز أنه ترك ما حرم الله، وأداء ما فرض الله"، وعن شهر بن حوشب، المتقي من يترك ما لا بأس به حذراً من الوقوع فيما فيه بأس" وعن أبي يزيد: أن التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة "، وعن محمد بن حنيف : أنها مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى "، وعن سهل: المتقي من تبرأ عن حوله، وقدرته . وقيل التقوى: ألا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك. وعن ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر، وعن أبي تراب : "بين يدي التقوى خمس عقبات لا ينالها من لا يجاوزهن: إيثار الشدة على النعمة، وإيثار الضعف على القوة، وإيثار الذل على العزة، وإيثار الجهد على الراحة، وإيثار الموت على الحياة . وعن بعض الحكماء أنه لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا أن يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستح ممن ينظر إليه: وقيل: التقوى أن تزين سرك للحق، كما تزين علانيتك للخلق.

والتحقيق أن للتقوى ثلاث مراتب : الأولى: التوقى عن العذاب المخلد بالتبرؤ عن الكفر، وعليه قوله تعالى: ﴿وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾(1). الثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم . وهو المتعارف بالتقوى في الشرع، وهو المعنى بقوله : ﴿ولَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقَوْا﴾(2). والثالثة: أن يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق ﷻ، ويتبتل إليه بكليته، وهي التقوى الحقيقية المأمور بها في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾(3). ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات أصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الإلهية المبنية على الحكم الأبية أقصاها ما انتهى إليه همم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حيث جمعوا بذلك بين رئاسة النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم

(1) سورة الفتح، آية 26.
(2) سورة الأعراف، آية 96.
(3) سورة آل عمران، آية 102.

الأشباح عن العروج إلى معالم الأرواح، ولم تصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق، لكمال استعداد نفوسهم الذكية المؤيدة بالقوة القدسية، وهداية الكتاب المبين شاملة لأرباب هذه المراتب أجمعين[1].

وقيل المتقي في الشريعة هو الذي يقي نفسه أن يتعاطى ما توعد عليه بعقوبة من فعل أو ترك[2]. وقال ابن كثير في معنى المتقين : قال ابن عباس : هم المؤمنون الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعتي. وقال محمد ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس : "المتقون" قال الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به . وقال سفيان الثوري عن رجل عن الحسن ا لبصري في قوله تعالى : ﴿لِّلْمُتَّقِين﴾ قال: اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم. وقال أبو بكر بن عياش سألني الأعمش عن المتقين قال فأجبته فقال سل عنها الكلبي فسألته فقال: "الذين يجتنبون كبائر الإثم " قال: فرجعت إلى الأعمش فقال أنه كذلك ولم ينكره، وقال قتادة في قوله تعالى للمتقين : هم الذين نعتهم الله بقوله "الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة"[3].

وقيل: البواعث على التقوى عشرة : خوف العقاب الأخروي، وخوف العقاب الدنيوي، ورجاء الثواب الدنيوي، ورجاء الثواب الأخروي، وخوف الحساب والحياء من نظر الله، وهو مقام المراقبة. والشكر على نعمته بطاعته، والعلم لقوله: " إنما يخشى الله من عباده العلماء " وتعظيم جلال الله، وهو مقام الهيبة، وصدق المحبة لقول القائل:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

ودرجات التقوى خمس: أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام وإن يتقي المعاصي والحرمات وهو مقام التوبة، وأن يتقي الشبهات وهو مقام الورع، وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد، وأن يتقي حضور غير الله على قلبه، وهو مقام المشاهدة[4].

فإذا كانت التقوى الشرعية هي امتثال الأو امر واجتناب المنهيات من الكبائر وعدم الاسترسال على الصغائر ظاهرا وباطناً . وإذا كان المراد بالمتقين المؤمنون الذين أمنوا بالله وبمحمد وتلقوا القرآن بقوة وعزم على العمل به كما ستكشف عنهم الأوصاف الآتية في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، فأننا سنحاول كشف تلك الصفات التي وردت في القرآن الكريم والتي وصف سبحانه بها المؤمنين.

وأول هذه الصفات هي الصفات القلبية: وحددناها بالقلبية لأنها أقرب إلى القلب وإن كانت تجمع بين الحالين القلبية والعملية لكننا حددناها بالقلبية كما سبق لقربها من صنيع القلب.

وأول الصفات القلبية الإيمان: ومعنى الإيمان أنه قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويتفاضل أهله فيه. وقد فسر ﷺالإيمان في حديث وفد عبد القيس، المتفق على صحته، حيث قال لهم: أمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون

---

(1) تفسير أبي السعود، 48/1.
(2) البحر المحيط لأبي حيان، 38/1.
(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، 39/1.
(4) التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي، 36/1.

ما الإيمان بالله .؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم[1].

وقيل إن الإيمان في اللغة التصديق، وقد جاء بهذا المعنى على لسان أخوة يوسف لأبيهم فيما حكاه القرآن حيث قالوا: ﴿ومَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ولَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي ما أنت بمصدق لنا.

وقد اختلف العلماء في تعريف الإيمان، فعرفه بعضه بالتصديق متأثرا بالمعنى اللغوي له، وعرفه بعضهم: بالتصديق المقترن بالعمل، وعرفه البعض بالخشية، وبينه البعض بأنه الاعتقاد القلبي والتصديق القولي بما يتطلبه الاعتقاد من العمل.

وفسر بعضهم الإيمان بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ومَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إيمَانَكُمْ ﴾ [2].أي صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس قبل تحويله[3].

والإيمان بهذا ينقسم قسمين إيمان بالغيب وهو الأصل: لأن الإيمان بالغيب أي ما غاب عن الحس هو الأصل في اعتقاد إمكان ما تخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوي[4]. ولذلك جاء في معنى "يؤمنون بالغيب" قال: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث فهذا غيب كله [5]، وسوف نتناول ذلك تفصيلاً مبينين أدلة ذلك من القرآن الكريم.

فقد ورد الإيمان بالغيب في أول سورة البقرة في قوله تعالى :﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[6]. ومن أقسامه:

أ- الإيمان بالله ﷻ:

* وقد جاء في آخر سورة البقرة وصف الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بوصف جامع كذا في العديد من آيات القرآن الكريم يقول سبحانه وتعالى: في سورة البقرة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[7].

* كما جاء في سورة آل عمران : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ ا لْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[8].

* وكما ورد في سورة التوبة : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾(9).

* وجاء في سورة الصف : ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[10].

---

(1) أخرجه البخاري 53، 523، 1398، 7266- ومسلم، (17)، والترمذي،2611، وأحمد، 228/1، والنسائي،120/8.

(2) سورة البقرة آية 143.

(3) مع الإيمان في رحاب القرآن : د. محمد محمد خليفة، ص7.

(4) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، 41/1.

(5) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، 41/1.

(6) سورة البقرة، آية 3.

(7) سورة البقرة، آية 285.

(8) سورة آل عمران، آية 110.

(9) سورة التوبة ،آية 18.

(10) سورة الصف، آية 11.

إنها صورة للمؤمنين، تمثلت فيها حقيقة الإيمان فعلاً، كرمها الله سبحانه وتعالى حينما جمع بينها وبين الرسول ﷺفي صفة واحدة، في آية واحدة، من كلامه الجليل [1]. ذلك لأن من أول صفات المؤمنين الالتجاء إلى كنف الله سبحانه وتعالى واستسلامهم لمشيئته وارتكانهم إلى عونه واتباعهم لما جاء به الرسول ﷺ وإيمان الرسول بما أنزل إليه من ربه هو إيمان التلقي المباشر، تلقى قلبه النقي للوحي العلي، واتصاله المباشر بالحقيقة المباشرة، الحقيقة التي تتمثل في كيانه بذاتها من غير كد ولا محاولة وبلا أداة أو واسطة . وهي درجة من الإيمان لا مجال لوصفها فلا يصفها إلا من ذاقها.. فهذا الإيمان إيمان الرسول ﷺ وهو الذي يكرم الله عباده المؤمنين فيجمعهم في الوصف مع الرسول الكريم [2].ﷺ، وذلك في قوله ﷻ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[3].

فالإيمان بالله في الإسلام قاعدة التصور، وقاعدة المنهج الذي يحكم الحياة، وقاعدة الخلق، وقاعدة الاقتصاد، وقاعدة كل حركة يتحركها المؤمن هنا أوهناك . إذ الإيمان بالله معناه إفراده بالسيادة على ضمير الإنسان وسلوكه في كل أمر من أمور الحياة [4]. ولا يكون ذلك إلا بالتصديق بالتصديق الجازم من صميم القلب بوجود ذاته تعالى الذي لم يسبق بضده ولم يعقب به، هو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء،والباطن فليس دونه شيء، حي قيوم أحد صمد "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد " [5]. وتوحيده بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته [6].

فلا شريك له في الخلق ولا شريك له في تصريف الأمور، ولا يتدخل في تصريفه للكون أحد، ولا يرزق الناس معه أحد، ولا يضر أو ينفع غيره أحد، ولا يتم شيء في هذا الوجود صغيراً كان أو كبيراً إلا ما يأذن به و يرضاه. وليس هناك شركاء في العبادة يتجه إليهم الناس، لا عبادة الشعائر ولا عبادة الخضوع والدنيوية، فلا عبادة إلا لله، فهذا هو معنى الإيمان بالله [7].

ويستتبع الإيمان بالله الإيمان بملائكته وكتبه ورسله، وهذا من أركان الإيمان، قال تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[8].
فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمي من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾[9]، وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته، حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان فقال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[10].

والإيمان بملائكة الله طرف من الإيمان بالغيب، وهو إيمان بحقيقة غيبية ... أمده الله بطرف من الحقائق الغيبية هذه، وأعانه على تمثلها، ويؤنس قلبه بهذه الأرواح المؤمنة من

(1) في ظلال القرآن، للشيخ سيد قطب، 340/1.
(2) نفسه، 340/1.
(3) سورة البقرة، آية 285.
(4) في ظلال القران، 341/1.
(5) سورة الإخلاص، آية 3-4.
(6) أعلام السنة المنشورة، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ص19.
(7) في ظلال القرآن، 341/1.
(8) سورة البقرة، آية 285.
(9) سورة النساء، آية 136.
(10) شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الدمشقي، ص 401- 402.

حوله، تشاركه إيمانه بربه وتستغفر له، وتكون في عونه على الخير .. ثم هنالك المعرفة: المعرفة بهذه الحقيقة وهي في ذاتها فضل يمنحه الله للمؤمنين به وبملائكته [1].

ومدار الإيمان بالملائكة من حيث أنهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بإنزال الكتب وإلقاء الوحي فإن مدار الإيمان بهم ليس من خصوصيات ذواتهم في أنفسهم بل هو من إضافتهم إليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم [2].

وينبثق من الإيمان بالله وملائكته الإيمان بكتبه ورسله إذ أن الإيمان بكتب الله ورسله بدون تفرقة بين أحد من رسله هو المقتضى الطبيعي الذي ينبثق من الإيمان بالله في الصورة التي يرسمها الإسلام، فالإيمان بالله يقتضي الاعتقاد بصحة كل ما جاء من عند الله، وصدق كل الرسل الذين يبعثهم الله، ووحدة الأصل الذي تقوم عليه رسالتهم، وتتضمنه الكتب التي نزلت عليهم .. ومن ثم لا تقوم التفرقة بين الرسل في ضمير المسلم، فكلهم جاء من عند الله بالإسلام في صورة من صوره المناسبة لحال القوم الذين أرسل إليهم؛ حتى انتهى الأمر إلى خاتم النبيين - محمد ﷺ- فجاء بالصورة الأخيرة للدين الواحد لدعوة البشرية كلها إلى يوم القيامة[3].

ولقد بينت آيات القرآن الكريم صفة المؤمنين الذين آمنوا بكتب الله ورسله في العديد من المواطن منها:

* قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [4].
* وقوله تعالى:﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾[5].
*وقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [6].
*وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [7].
*وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [8].
*وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [9].

وعليه فإن من صفات المؤمنين الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين مثل التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن الله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسمائها ولا عددها إلا الله تعالى، أما القرآن فالإيمان به والإقرار به و إتباع ما فيه أمر زائد على الإيمان

---

(1) في ظلال القرآن، 342/1.
(2) تفسير أبي السعود، 424/1.
(3) في ظلال القرآن، 342/1.
(4) سورة البقرة، آية 4.
(5) سورة البقرة، آية 177.
(6) سورة البقرة، آية 285.
(7) سورة الأعراف، آية 157.
(8) سورة المؤمنون، آية 58.
(9) سورة الزخرف، آية 69.

بغيره من الكتب. ولهذا جاءت صفة المؤمنين: هي الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق وهدى ونور وبيان وشفاء [1].

أما صفتهم في الإيمان بالرسل فهم يؤمنون بهم جملة سواء من ذكرهم الله تعالى أو لم يذكرهم استنادا على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[2].

وهم يؤمنون بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحدا ممن أرسلوا إليه جهله [3].

ومن صفات المؤمنين: الإيمان باليوم الآخر، وقد وردت كثير من آيات القرآن تبين ذلك منها:

* قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [4].
* وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [5].
* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [6].
* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[7].
*وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[8].

فالمؤمنون يصدقون تصديقاً جازماً بإتيان اليوم الآخر لا محالة، فهم بذلك الإتيان يوقنون، فهم يؤمنون بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة . وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع وتفاصيل المحشر: من نشر الصحف ووضع الموازين وبالصراط والحوض والشفاعة وبالجنة ونعيمها [9]. وبكل ما جاء به القرآن الكريم من جزاء لإيمانهم بذلك.

ولفظ الآخرة قد ورد في القرآن كثيرا والمراد به الحياة الآخرة أو الدار الآخرة حيث الجزاء على الأعمال، ويتضمن كل ما وردت به النصوص القطعية من الحساب والجزاء على الأعمال.

وأما اليقين في قوله تعالى: ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ فهو الاعتقاد المطابق للواقع الذ ي لا يقبل الشك ولا الزوال فهو اعتقادان أن: اعتقاد أن الشيء كذا، واعتقاد أنه لا يمكن أن يكون إلا كذا...

وأما اليقين في اللغة فهو الاعتقاد الجازم في غير الحسيات والضروريات كما صرحوا به، فالجزم بخبر الصادق والاعتقاد المبني على الأدلة والأمارات يسمى يقيناً إذا كان ثابتاً لا شك فيه. وفي لسان العرب: أن اليقين العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر، وهو نقيض الشك، والعلم نقيض الجهل (أهـ) فالإيمان الشرعي يشترط فيه اليقين اللغوي فقط وهو التصديق الجازم الذي لا شك فيه ولا تردد . واليقين المنطقي أكمل . وهو ما يبنى عليه : وصفهم بأنهم موقنون بالآخرة لأنهم مؤمنون بالقرآن [10].

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية، ص424.
(2) سورة غافر، آية 78.
(3) شرح العقيدة الطحاوي، ص423.
(4) سورة البقرة، آية 4.
(5) سورة البقرة، آية 177.
(6) سورة الرعد، آية 21.
(7) سورة النمل، آية 31.
(8) سورة النور، آية 37.
(9) أعلام السنة المنشورة، ص55.
(10) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا م1 ، ص134.

هذا بالنسبة للإيمان بالأمور الغيبية وهو القسم الأول من الإيمان.
أما بالنسبة للقسم الثاني: وهو الإيمان المطلق: فلقد ورد في كثير من آيات القرآن الكريم وصف المؤمنين بالإيمان المطلق من ذلك:
*قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (1)
*وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(2).
*وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (3).
*وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (4).
*وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (5).
*وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (6).
*وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾(7).
*وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (8).
*وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ (9).
*وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (10).
*وقوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (11).
*وقوله تعالى: ﴿... وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (12).
*وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ (13).
*وقوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (14).
وقوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (15).
من هذا المنطلق نعلم أنه سبحانه وتعالى ما ذكر في القرآن آية في الوعيد إلا وذكر بجنبها آية في الوعد وذلك لفوائد:

(1) سورة البقرة، آية 218.
(2) سورة البقرة، آية 277.
(3) سورة يونس، آية 9.
(4) سورة يونس، آية 63.
(5) سورة هود، آية 23.
(6) سورة الرعد، آية 28.
(7) سورة الرعد، آية 29.
(8) سورة الكهف، آية 30.
(9) سورة الكهف، آية 107.
(10) سورة المؤمنون، آية 1.
(11) سورة الشورى، آية 36.
(12) سورة الفتح آية، 29.
(13) سورة البروج، آية 11.
(14) سورة التين، آية 6.
(15) سورة العصر، آية 3.

أحدها: ليظهر بذلك عدله سبحانه وتعالى لأنه لما حكم بالعذاب الدائم على المصرين على الكفر وجب أن يحكم بالنعيم الدائم على المصرين على الإيمان.
ثانيها: أن المؤمن لابد وأن يعتدل خوفه ورجاؤه على ما قال عليه الصلاة والسلام " لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا" وذلك الاعتدال لا يحصل إلا بهذا الطريق.
ثالثها: أنه يظهر بوعده كمال رحمته وبوعيده كمال حكمته فيصير ذلك سبباً للعرفان[(1)].

أطلق سبحانه وتعالى الإيمان في هذه الآيات ولم يقيده فسبحانه لم يذكر بماذا أمنوا لأن متعلق الإيمان كان معروفاً عند المخاطبين، وهو الله تعالى وصفاته التي ورد بها النقل الصريح، وأثبتها العقل الصحيح، والوحي ومن جاء به، والبعث والجزاء . فهذه هي الأصول التي كان يدعو إليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن صدقهم فيها كان مؤمناً ويصدق بما يتبع ذلك من التفصيل، ولابد في تحقيق الإيمان من اليقين، ولا يقين إلا ببرهان قطعي لا يقبل الشك والارتياب، ولابد أن يكون البرهان على الألوهية عقلياً، وإن كان الإرشاد إليها سمعياً[(2)].

فالمؤمنون الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح لا تمسهم النار، بل هم في روضات الجنات يحبرون "أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون" أي مخلدون في الجنان لا يخرجون منها أبداً[(3)].

ذلك إذا اجتمعت فيهم شعب الإيمان التي بينها رسول الله ﷺ بقوله: "الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول : لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"[(4)].

إن هذه الشعب تتفرع من أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن، فأعمال القلب : المعتقدات والنيات على أربع وعشرين خصلة : الإيمان بالله، ويدخل فيها الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[(5)]. واعتقاد حدوث ما دونه والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، و الإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المساءلة في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة، ومحبة الله والحب والبغض فيه ومحبة النبي ﷺ واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه ﷺ واتباع سنته والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء وا لشكر والوفاء والصبر والرضا بالقضاء والتوكل والرحمة والتواضع ويدخل فيه توقير الكبير ورحمة الصغير وترك التكبر والعجب وترك الحسد وترك الحقد وترك الغضب، وأعمال اللسان : وتشتمل على سبع خصال : التلفظ بالتوحيد وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء والذكر ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو.

وأعمال البدن: وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة منها ما يتعلق بالأعيان وهي خمس عشرة خصلة التطهر حساً وحكماً: ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف، والصيام فرضاً ونفلاً، والاعتكاف والتماس ليلة القدر والحج والعمرة والطواف كذ لك الفرار بالدين ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك والوفاء بالنذر، والتحري في الإيمان وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلق بالاتباع : وهي ست خصال : التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين: ويدخل فيه اجتناب العقوق وتربية الأولاد وصلة الرحم وطاعة السا دة والرفق

(1) التفسير الكبير للرازي، 162/3.
(2) تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا م1 ، ص229.
(3) صفوة التفاسير للصابوني، 72/1.
(4) رواه البخاري (9)، ومسلم "الإيمان، 57 - 58".
(5) سورة الشورى، آية 11.

بالعبيد، ومنها ما يتعلق بالعامة : وهي سبع عشرة خصلة : القيام بالإمارة مع العدل ومتابعة الجماعة وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال البغاة والمعاونة على البر ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود والجهاد، ومنه الم رابطة وأداء الأمانة ومنه أداء الخمس في الغنيمة والقرض مع وفائه وإكرام الجار وحسن المعاملة ويدخل فيه جمع المال من حله وإنفاقه في حقه، ويدخل فيه ترك التبذير والإسراف ورد السلام وتشميت العاطس وكف الضرر عن الناس واجتناب اللهو وإماطة الأذى عن الطريق فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها سبعاً وسبعين خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضها إلى بعض مما ذكر [1].

تلك هي أهم صفات المؤمنين على ما سوف نبينه تفصيلاً - بمشيئة الله فيما يأتي - على أن أركان الإيمان كما سبق أن نوهنا عنها هي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والي وم الآخر، والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى.

ومن المقطوع به أن هذه الخصال هي أصول الدين، وبها أجاب النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور المتفق على صحته، حين جاء إلى النبي ﷺ على صورة رجل أعرابي، وسأله عن الإسلام، فقال: "أن تشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً". وسأله عن الإيمان: فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، وسأله عن الإحسان، فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لن تكن تراه فإنه يراك"[2]. وفسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس [3]. ومعلوم أنه لم يُرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في غير موضع أنه لابد من إيمان القلب فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان[4].

ويستتبع صفة الإيمان سواء كان إيمان بالغيب: كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . أو إيمان على إطلاقه، صفات أخرى : كوجل القلوب والخشية والخشوع والخضوع وكظم الغيظ وكل ذلك يدخل في الصفات القلبية.

فصفة وجل القلوب بينتها آيات القرآن منها:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[5].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ...﴾[6] .

*وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[7].

قوله تعالى: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي خافت وحذرت مخالفته . فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة يقينهم وم راعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ووصفهم بالصبر وإقامة الصلاة وإدامتها.. وهذه الحالة هي حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته؛ لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطَّغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وَجْد وخشوع : إنك لم تبلغ أن تساوي حال رسول الله ﷺ ولا حال

(1) أعلام السنة المنشورة، ص95.
(2) أخرجه البخاري، (4777)، ومسلم (9)، وأحمد، 426/2.
(3) سبق تخريجه.
(4) شرح العقيدة الطحاوية، ص512.
(5) سورة الأنفال، آية 2.
(6) سورة الحج، آية 35.
(7) سورة المؤمنون، آية 60.

أصحابه في المعرفة بالله تعالى والخوف منه والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفاً من الله . وكذلك وصف الله تعالى أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم؛ قال الله تعالى : "وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين "[1]، فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم؛ فمن كان مستناً فليستن، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسهم حالاً، والجنون فنون . روى الصحيح عن أنس بن مالك أن الناس سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه في المسألة فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال : سلوني لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم ما دمت في مقامي هذا "[2]. فلما سمع ذلك القوم أَرَمُّوا ورهبوا أن يكون بين يدي أمر قد حضر. قال أنس: فجعلت ألتفت يميناً وشمالاً فإذا كل إنسان لافٌّ رأسه في ثوبه يبكي[3].

وفي هذا المقام اجتمعت للمؤمنين صفات خمس جمعت في أول سورة الأنفال، فقد وصف الله تعالى المؤمنين بصفات خمس تدل على وجوب التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله فقال: " إنما المؤمنون" حقاً المخلصون في إيمانهم هم الذين اجتمعت فيهم خصال خمسة:

الأولى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي الذين إذا ذكروا الله بقلوبهم فزعوا لعظمته وسلطانه أو لوعده ووعيده ومحاسبته لخلقه والآية بمعنى قوله : ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ* الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

الثانية: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ أي وإذا تليت عليهم آياته المنزلة على خاتم أنبيائه ﷺ زادتهم يقيناً في الإيمان، وقوة في الاطمئنان ونشاطاً في الأعمال، إذ أن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج يوجب زيادة اليقين؛ فإبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان مؤمناً بإحياء الله الموتى حين دعاه ربه أن يريه كيف يحيها كما قال تعالى : "أو لم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي".

فمقام الطمأنينة في الإيمان يزيد على ما دونه من الإيمان المطلق قوة وكمالاً، ويروى أن علياً المرتضى قال : لو كشف عني الحجاب ما ازددت يقيناً . والعلم التفصيلي في الإيمان أقوى من العلم الإجمالي، فمن آمن بأن لله علماً محيطاً بالمعلومات، وحكمة قام بها نظام الأرض والسماوات، ورحمة وسعت جميع المخلوقات ويعلم ذلك علماً إجمالياً، ولو سألته أن يبين لك شواهده في الخلق لعجز[4].

أما الخصال الثلاثة الباقية وهي: التوكل على الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة فسنبينها في موضعها بمشيئة الله تعالى.

ومن هذا يتبين لنا أن صفة وجل القلوب تنبني على صفات عدة منها : صفة الخشية، والخشوع والخضوع وغير ذلك.

فصفة الخشية ورد بيانها في القرآن الكريم في مواضع منها:

(1) سورة المائدة، آية 83.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 59/12 - 60.
(3) ذكره القرطبي وقال: روى الصحيح عن أنس بن مالك.
(4) تفسير المراغي، 164/9.

* قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[1].

* وقوله تعالى: ﴿...إلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[2].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[3].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾[4].

* وقوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ﴾[5].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ..﴾ [6].

* وقوله تعالى: ﴿إلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[7].

* وقوله تعالى: ﴿...اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...﴾[8].

* وقوله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[9].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[10].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[11].

* وقوله تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[12].

ففي قوله: ﴿الَذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ قيل: أن هذه الخشية تلازم التقوى.. فهم يخشون عذابه وهو غائب عنهم، أو هم غائبون عنه لأنهم في الدنيا والعذاب في الآخرة [13]، وقيل: هم غائبون لأنهم لم يروا الله سبحانه وتعالى، بل عرفوا بالنظر والاستدلال أن لهم ربا قادرا يجازي على الأعمال فهم يخشونه في سرائرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس، "وهم من الساعة" أي من قيامها قبل التوبة "مشفقون" أي خائفون وجلون"[14].

نرى ابن جزى يقول في قوله : ﴿إِنَّ الَذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان أحدهما أن معناه: وهم غائبون عن الناس ففي ذلك وصف لهم بالإخلاص، والآخر أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها على أن هذا القول إنما يحسن في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [15].

---

(1) سورة الرعد، آية21.
(2) سورة الأنبياء، آية 28.
(3) سورة الأنبياء، آية 49.
(4) سورة المؤمنون، آية 57.
(5) سورة فاطر، آية 18.
(6) سورة يس، آية 11.
(7) سورة طه، آية 3.
(8) سورة الزمر، آية 23.
(9) سورة ق، آية 33.
(10) سورة الملك، آية 12.
(11) سورة النازعات، آية 26.
(12) سورة البينة، آية 8.
(13) فتح القيد للشوكاني، 411/3.
(14) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 295/11.
(15) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، 252/4.

في حين أن ابن كثير قد بين معنى الخشية بالخوف يقول : يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس فينكف عن المعاصي ويقو م بالطاعات حيث لا يراه أحد غير الله تعالى بأن له مغفرة وأجرا كبيرا أي تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين: "سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فذكر منهم رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"[1].

أما صفة الخشوع ، فقد ذكر رب العزة في سورة المؤمنون قوله : "الذين هم في صلاتهم خاشعون" يقول القرطبي: الخاشعون جمع خاشع وهو المتواضع، والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع. وقال قتادة: الخشوع في القلب، وهو الخوف وغض البصر في الصلاة، قال الزجاج : الخاشع الذي يرى أثر الذل والخشوع عليه، كخشوع الدار بعد الإقواء. هذا هو الأصل قال النابغة:

رماد ككحل العين لأيا أبينه ونؤى كجزم الحوض أثلم

ومكان خاشع لا يهتدي إليه . وخشعت الأصوات أي سكنت . وخشعت خَرَاشِيُّ صدره: إذ ألقى بصاقا لزجا، وخشع ببصره إذا غضه . والخشعة قطعة من الأرض رخوة؛ وفي الحديث: "كانت خشعة على الماء ثم دحيت بعد "[2]. وبلدة خاشعة: مغبرة لا منزل بها . قال سفيان الثوري: سألت الأعمش عن الخشوع فقال : يا ثوري أنت تريد أن تكون إماماً للناس ولا تعرف الخشوع سألت إبراهيم النخعي عن الخشوع؛ فقال : أعيمش تريد أن تكون إماماً للناس ولا تعرف الخشوع! ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطأطؤ الرأس! ولكن الخشوع أن ترى الشريف والدنيء في الحق سواء، وتخشع لله في كل فرض افترض عليك، ونظر عمر بن الخطاب إلى شاب قد نكس رأس ه فقال : يا هذا أرفع رأسك، فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب. وقال علي ابن أبي طالب: الخشوع في القلب، وأن تلين كفيك للمرء المسلم وألا تلتفت في صلاتك[3].

وقيل: الخشوع حالة في القلب من الخوف والمراقبة والتذلل لعظمة المولى جل جلاله ثم يظهر أثر ذلك على الجوار ح بالسكون والإقبال على الصلاة وعدم الالتفاف والبكاء والتضرع وقد عدّ بعض الفقهاء الخشوع من فرائض الصلاة، لأنه جعله بمعنى حضور القلب فيها، وقد جاء في الحديث لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها[4]، والصواب أن الخشوع أمر زائد على

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 621/4 والحديث: في إرواء الغليل برقم 887- حديث" سبعة يظلهم الله في ظله ... ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ". صحيح أخرجه البخاري . 119/2 - 124، 232/3" ومسلم 93/3 والترمذي 63/2، وأحمد 2/ 439، كلهم عن يحي بن سعيد عن عبيد الله قال : حدثني خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم "سبعة يظلهم الله .. الحديث"والسياق للبخاري، وانقلبت الفقرة السادسة منه على بعض. رواه مسلم فقال: "حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله. ثم أخرجه البخاري 399/4، والنسائي 303/2عن عبد الله وهو ابن المبارك عن عبيد الله به. وزاد بعد"يظلهم الله " "يوم القيامة" (إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السيل للألباني 395/3).

(2) حديث: (كانت خشعة على الماء ثم دحيت بعد) وفي رواية (خشفة) رواه الأزرقي في أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. وهو موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما. ولا أصل له مرفوعاً.

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 374/1-375.

(4) حديث: (لا يكتب للعبد من صلاته إلا ما عقل منها) تمامه: وإن العبد لا ينصرف من صلاته وما كتب له إلا عشرها تسعها ثمنها...) حديث حسن . رواه أحمد وأبي رواء والنسائي داوود والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

على حضور القلب، فقد يحضر القلب ولا يخشع [1]. وري ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : الخاشعون هم المؤمنون حقاً [2]، والخشوع محله القلب؛ فإذا خشع خشعت الجوارح كلها لخشوعه إذ هو ملكها، وكان الرجل من العلماء إذا أقام الصلاة وقام إليها يهاب الرحمن أن يمد بصره إلى شيء وأن يحدث نفسه بشيء من الدنيا . وقال عطاء: هو ألا يعبث بشيء من جسده في الصلاة. وأبصر النبي ﷺ رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال : "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه"[3]. وقال أبو ذر قال النبي ﷺ: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصى"[4].

أما صفة الصبر: فقد وردت آيات عديدة في القرآن الكريم تبين هذه الصفة منها:

* في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[5].
* وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[6].
* وقوله تعالى: ﴿...وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[7].
* وقوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[8].
* وقوله تعال: ﴿... وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[9].
* وقوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[10].

*وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ...﴾[11].

*وقوله تعالى: ﴿..وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ..﴾ [12].

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، 103/3.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 375/1.

(3) حديث أنه رأى رجلا يعبث في صلاته فقال : "لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه " موضوع : أورده السيوطي في الجامع الصغير من رواية الحكيم عن أبي هريرة، وصرح الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على تفسير البيضاوي ق 202 بأن اسناده ضعيف. قلت: بل هو أشد ضعفا، فقد قال المناوى = = في" فيض القدير ": رواه "يعني الحكيم " في النوادر عن صالح بن محمد بن سليمان بن عمرو عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يغبث بلحيته في الصلاة . الحديث . قال الزين العراقي في شرح الترمذي وسليمان بن عمرو هو أبو داود النخعي متفق على ضعفه.
" راجع إرواء الغليل للألباني 93/2".

(4) حديث أبي ذر مرفوعا: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصا فإن الرحمة تواجهه" رواه أبو داود. ضعيف أخرجه أبو داود (945) والنسائي (177/1) والترمذي 219/2 وابن ماجة 1027، وكذا الدارمي 322/1، وابن الجارود 116، والطحاوي في المشكل 183/2، وابن أبي شيبة 2/96/2، والبيهقي 284/2، وأحمد 150/5، 179، 163من طريق الزهري عن أبي الأحوص عن أبي ذر به وقال الترمذي : حديث حسن . وقد صححه الألباني بطرق أخرى يقول: فالحديث بهذا اللفظ صحيح. " راجع إرواء الغليل للألباني 93/2" وزاد المعاد لابن قيم الجوزية 306/1"

(5) سورة البقرة، آية 153.

(6) سورة البقرة، آية 155-156.

(7) سورة البقرة، آية 177.

(8) سورة آل عمران، آية 17.

(9) سورة الانفال، آية 46.

(10) سورة هود، آية 11.

(11) سورة الرعد، آية 22.

(12) سورة النحل، آية 35.

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(1).
*وقوله تعالى: ﴿...وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ...﴾(2).
*وقوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(3).
*وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا...﴾(4).

تلك كانت بعض الآيات التي وصفت المؤمنين بصفة الصبر والآيات في الأمر بالصبر وبيان صفة المؤمنين الصابرين كثيرة معروفة وكذلك الأحاديث المروية في هذا الجانب كثيرة أيضاً منها:

ما رواه أبو مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: "الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملاء الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"(5). وعن أبي يحي صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"(6).

أعلم أن الصبر ضربان : **أحدهما**: بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه، وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة أو بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والألم العظيم. والثاني هو الصبر النفساني وهو منع النفس عن مقتضيات الشهوة ومشتهيات الطبع، ثم هذا الضرب إن كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة، وإن كان على احتمال مكروه اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر فإن كان في مصيبة اقتصر عليه باسم الصبر ويضاده حالة تسمى الجزع والهلع، وهو إطلاق داعي الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب وغيرها وإن كان في حال الغنى يسمى ضبط النفس ويضاده حالة تسمى: البطر. وإن كان في حرب ومقاتله يسمى شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في كظم الغيظ والغضب يسمى : حلما، ويضاده النزق، وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي: سعة الصدر، ويضاده الضجر والندم وضيق الصدر، وإن كان في إخفاء كلام يسمى: كتمان النفس ويسمى صاحبه :كتوما، وإن كان عن فضول العيش زهدا، ويضاده الحرص وإن كان على قدر يسير من المال سمي بالقناعة ويضاده الشره، وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمى الكل صبرا.. وقد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً وأضاف أكثر الخيرات إليه فقال: ﴿وجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾(7). وقال: ﴿وتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾(8). وقال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا

(1) سورة العنكبوت، آية 59.
(2) سورة الأحزاب، آية 35.
(3) سورة الزمر، آية 10.
(4) سورة فصلت، آية 35.
(5) رواه مسلم في صحيحه رقم 223، والدارمي في مسنده رقم 653، والترمذي برقم 3517، وابن ماجه 280: من حديث أبي مالك الأشعري
وجاء في دليل الفالحين: رواه أحمد والدرامي في مسنده وأبو عوانه في صحيحه والترمذي في الدعوات من جامعه، وقال أنه حديث حسن صحيح.. دليل الفاللحين 143/1"
(6) رواه مسلم في صحيحه رقم 2999، والدارمي في مسنده رقم 2777، وجاء في دليل الفالحين : أن صهيب روى له عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثون حديثا، أخرج له مسلم ثلاثة أحاديث، ولم يخرج له البخاري شيئاً.
"دليل الفالحين، 147/1".
(7) سورة السجدة، آية 24.
(8) سورة الأعراف، آية 137.

صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1]. وقال: ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾[2]. وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3]. فما من طاعة إلا وأجرها مقدراً إلا الصبر، ولأجل كون الصوم من الصبر قال تعالى : "الصوم لي" فأضافه إلى نفسه، ووعد الصابرين بأنه معهم فقال: ﴿واصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[4]. وعلق النصر على الصبر فقال: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[5]. وجمع للصابرين أمورا لم يجمعها لغيرهم فقال :﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[6]. وأما الأخبار فقال رسول الله ﷺ: "الصبر نصف الإيمان"[7]. وتقريره أن الإيمان لا يتم إلا بعد ترك ما لا ينبغي من الأقوال والأعمال والعقائ د، وبحصول ما ينبغي، فالاستمرار على ترك ما لا ينبغي هو الصبر وهو النصف الآخر[8].

وفي قوله تعالى : ﴿وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ أي بالثواب على الصبر . والصبر أصله الحبس، وثوابه غير مقدر؛ وقد تقدم . لكن لا يكون ذلك إلا بالصبر عند الصدمة الأولى؛ كما روي البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال: "إنما الصبر عند الصدمة الأولى"[9]. أخرجه مسلم أتم منه، أي إنما الصبر الشاق على النفس الذي يعظم الثواب عليه إنما هو عند هجوم المصيبة وحرارتها؛ فإنه يدل على قوة القلب وتثبيته في مقام الصبر .. وقال سهل بن عبد الله التستري : لما قال الله تعالى: ﴿وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ صار الصبر عيشا . والصبر صبران: صبر عن معصية الله، فهذا مجاهدة، وصبر على طاعة الله، فهذا عابد . فإذا صبر عن معصية الله وصبر على طاعة الله أورثه الله الرضا بقضائه؛ وعلامة الرضا سكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات والمحبوبات، وقال الخواص: الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة[10].

ولقد وازن العلماء بين الصبر والشكر، فقيل الصبر أفضل أم الشكر؟ قال الإمام الغزالي رحمه الله: دلالة الأخبار على فضيلة الصبر أشد قال عليه السلام : "من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر"[11]. وقال: يؤتى بأشكو أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول : نعم يا رب فيقول الله تعالى: لقد أنعمت عليك فشكرت، وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين"[12].

(1) سورة النحل، آية 96.
(2) سورة القصص، آية 54.
(3) سورة الزمر، آية 10.
(4) سورة الأنفال، آية 46.
(5) سورة آل عمران، آية 125.
(6) سورة البقرة، آية 157.
(7) حديث" "الصبر نصف الإيمان"قال عنه الألباني في السلسلة الضعيفة (714/1، 715) رقم 499- حديث منكر.
(8) التفسير الكبير للرازي، 152/4.
(9) رواه البخاري في صحيحه برقم 1283، ومسلم 926 من حديث أنس وجاء في دليل الفالحين: "متفق عليه " وكذا أخرجه الترمذي والنسائي كما في أمالي الأذكار للحافظ بن حجر، لكن في تيسير الوضع للديبع : أخرجه الخمسة إلا النسائي: يعني الشيخين وأبا داود والترمذي. (دليل الفالحين 165/1).
(10) الجامع لأحكام القرآن، 174/2.
(11) حديث: "من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر" رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين قال عنه العلماء حديث منكر.
(12) التفسير الكبير للرازي، 153/4.

ولذلك قيل في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يغرف لهم غرفا، وقال ابن جرير بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزادون على ذلك، وقال السدى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني في الجنة(1).

وقد وصف سبحانه المؤمنين بصفة لا تظهر على الجوارح وهي: *كظم الغيظ:

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(2).

ويقول القرطبي: وكظم الغيظ ردّه في الجوف، يقال كظم غيظه أي سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه، وكظمت السّقاء أي ملأته وسددت عليه، والكظامة ما يسد به مجرى الماء؛ ومنه الكظام للسير الذي يسد به فم الزِّق والقربة . وكظم البعير جرته إذا ردها في جوفه؛ وقد يقال لحبسه الجرة قبل أن يرسلها إلى فيه: كظم؛ حكاه الزجاج. يقال: كظم البعير والناقة إذا لم يجتَّرا ... ومنه رجل كظيم ومكظوم إذا كان ممتلئا غما وحزنا . وفي التنـزيل: " وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم"(3).

﴿ظَلَّ وجْهُهُ مُسْوَداً وهُوَ كَظِيمٌ ﴾(4). ﴿إِذْ نَادَى وهُ وَ مَكْظُومٌ﴾(5). والغيظ أصل الغضب، وكثيرا ما يتلازمان لكن فرقان ما بينهما، إن الغيظ لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح مع فعل ما ولابد، ولهذا جاء اسناد الغضب إلى الله تعالى إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم(6).

ومن هذه الصفات أيضاً:

صفة التوكل على الله:

وقد وردت هذه الصفة في عدة آيات منها:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(7).
* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(8).
* وقوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(9).

يقول ابن كثير في قوله تعالى: "وعلى ربهم يتوكلون" أي لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجانبه ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 73/4.
(2) سورة آل عمران، آية 134.
(3) سورة يوسف، آية 84 .
(4) سورة النحل، آية 58 .
(5) سورة القلم، آية 48 .
(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 206/4 – 207 .
(7) سورة الأنفال، آية 2.
(8) سورة العنكبوت، آية 59.
(9) سورة الشورى، آية 36.

كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان[1].

وهذا هو إخلاص الاعتقاد بوحدانية الله، وإخلاص العبادة له دون سواه فما يمكن أن يجتمع في قلب واحد، توحيد الله والتوكل على أحد معه سبحانه، والذين يجدون في قلوبهم الاتكال على أحد أو على سبب يجب أن يبحثوا ابتداء في قلوبهم عن الإيمان بالله. وليس الاتكال على الله وحده بمانع من اتخاذ الأسباب، فالمؤمن يتخذ الأسباب من باب الإيمان بالله وطاعته فيما يأمر به من اتخاذها، ولكنه لا يجعل الأسباب هي التي تنشئ النتائج فيتكل عليها . إن الذي ينشئ النتائج - كما ينشئ الأسباب - هو قدر الله . ولا علاقة بين السبب والنتيجة في شعور المؤمن .. اتخاذ السبب عبادة بالطاعة، وتحقق النتيجة قدر من الله مستقل عن السبب لا يقدر عليه إلا الله .. وبذلك يتحرر شعور المؤمن من التعبد للأسباب والتعلق بها، وفي الوقت ذاته هو يستوفيها بقدر طاقته لينال ثواب طاعة الله في استيفائها[2].

ومدار الأمر في هذه الصفات التي أطلقنا عليها صفات قلبية وهي صفات إيمانية، وكما سبق أن نوهنا : أن الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، لأنها ألصق بالقلب من غيرها والصفات العملية أو القولية م دارها جميعا التقوى : وقد بدأنا هذا القسم بالحديث عن التقوى ونبين هنا الآيات التي وردت في صفة التقوى:

* قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[3].
* وقوله تعالى: ﴿...وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [4].
* وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [5].
* وقوله تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [6].
* وقوله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ﴾ [7].
* وقوله تعال: ﴿...فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [8].
* وقوله تعالى: ﴿...وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [9].
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [10].
* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [11].
* وقوله تعالى: ﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [1].

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، م452/2.
(2) في ظلال القرآن لسيد قطب، 1476/3.
(3) سورة البقرة، آية 2.
(4) سورة البقرة، آية 212.
(5) سورة آل عمران، آية 15.
(6) سورة آل عمران، آية 133.
(7) سورة آل عمران، آية 198.
(8) سورة الأعراف، آية 156.
(9) سورة الأعراف، آية 169.
(10) سورة الأعراف، آية 201.
(11) سورة يونس، آية 63.

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [2].
* وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [3].
* وقوله تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [4].
* وقوله تعالى: ﴿...الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [5].
* وقوله تعالى: ﴿.. وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[6].

وعلى هذا فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه وقاية تقيه منه، وهي امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه بفعل كل مأمور به وترك كل منهى عنه حسب الطاقة، من فعل ذلك فهو من المتقين الذين شرفهم الله تعالى في كتابه بالمدح والثناء.

﴿وإن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ وبالحفظ من الأعداء ﴿وإن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ وبالتأكيد والنصرة ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا والَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ وبالنجاة من الشدائد والرزق من الحلال ﴿ومَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[7]. ومن كانت هذه صفاتهم كان جزائهم عند الله عظيم، فلقد أعد الله للمتقين غرفا من فوقها غرف، لأن الجنة درجات يعلو بعضها بعضا، قال ابن عباس في معنى "غرف مبنية" من زبرجد وياقوت تجري من تحتها الأنهار : أي هي جامعة لأسباب النزهة، وهذا وعد الله لهم وعدا[8]، بل الغاية القصوى من تقوى الله : محبة الله تعالي وموالاته، وانتفاء الخوف والحزن، وحصول البشارة في الدنيا والآخرة والفوز العظيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ﴾ ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ ولو لم يكن في التقوى سوى هذه الخصلة لكفت[9].

ثانياً: الصفات الفعلية(الصفات العملية)

وأول هذه الصفات التي جمعت جميع الصفات العملية هي : **صفة العمل الصالح :** ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية[10]. وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين يستحقون البشارة بقوله: "وعملوا الصالحات" وأطلق في هذا أيضاً كما أطلق في كثير من الآيات لأن العمل الصالح معروف عند الناس بالإجمال، وذلك كافٍ في الترغيب فيه وجعله تابعاً للإيمان متصلاً به ولازماً من لوازمه، وبيّن الأعمال الصالحة بالتفصيل في آيات كثيرة كقوله تعالى: "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب" وكالآيات في أول سورة "المؤمنون" وآخرها وآخر سورة الفرقان وأوائل سورة المعارج وغير ذلك مما سنبينه بعد

(1) سورة يوسف، آية 57.
(2) سورة الحجر، آية 45.
(3) سورة النحل، آية 30.
(4) سورة النمل، آية 53.
(5) سورة الزمر، آية 20.
(6) سورة الزمر، آية 33.
(7) دليل الفالحين للعلامة محمد بن علان الدمشقي الشافعي م1 ،ص246.
(8) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 245/15.
(9) دليل الفالحين، 247/1.
(10) سورة البقرة، آية 25.

بمشيئة الله تعالى . كأن الله تعالى يقول : إن العمل الصالح معروف عند الناس لأنه أودع في نفوسهم ما يميزون به بين الخير والشر .. وجمع بين الإيمان والعمل الصالح الذي ترشد إليه الفطرة السليمة، ويهدي إلى تحديده الكتاب العزيز وسنة الرسول المتبعة[1].

وصفة العمل وردت في آيات كثيرة في القرآن الكريم منها:

* قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[2].

* وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ا لصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4].

* وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[5].

* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾[6].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[7].

* وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾[8].

* وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[9].

* وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[10].

* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[11].

* وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾[12].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[13].

* وقوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[14].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[15].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[16].

---

(1) تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا م1 ،ص231.
(2) سورة البقرة، آية 25.
(3) سورة البقرة، آية 82.
(4) سورة البقرة، آية 277.
(5) سورة آل عمران، آية 57.
(6) سورة النساء، آية 57 - 122.
(7) سورة النساء، آية 124.
(8) سورة النساء، آية 173.
(9) سورة المائدة، آية 9.
(10) سورة المائدة، آية 93.
(11) سورة الأعراف، آية 42.
(12) سورة يونس، آية 4.
(13) سورة يونس، آية 9.
(14) سورة هود، آية 11.
(15) سورة هود، آية 23.
(16) سورة الرعد، آية 29.

* وقوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾[1].
* وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[2].
* وقوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[3].
* وقوله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾[4].
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[5].
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[6].
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[7].
* وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلا﴾[8].
* وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[9].
* وقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[10].
* وقوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[11].
* وقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾[12].
* وقوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا﴾[13].
* وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[14].
* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾[15].
* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[16].
* وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[17].
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾[18].

---

(1) سورة إبراهيم، آية 23.
(2) سورة النحل، آية 97.
(3) سورة الإسراء، آية 9.
(4) سورة الكهف، آية 2.
(5) سورة الكهف، آية 30.
(6) سورة الكهف، آية 107.
(7) سورة مريم، آية 96.
(8) سورة طه، آية 75.
(9) سورة الحج، آية 14،23.
(10) سورة الحج، آيۆ 50.
(11) سورة الحج، آية 56
(12) سورة النور، آية 55
(13) سورة الشعراء، آية 227.
(14) سورة العنكبوت، آية 7.
(15) سورة العنكبوت، آية 9.
(16) سورة العنكبوت، آية 58.
(17) سورة الروم، آية 15.
(18) سورة لقمان، آية 8.

* وقوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُو ا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].
* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[2].
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[3].
* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾[4].
* وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[5].
* وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾[6].
* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾[7].
* وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[8].
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾[9].
* وقوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[10].
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[11].
* وقوله تعالى: ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[12].

المقصود بـ"عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ": كل ما استقام من الأعمال واللام للجنس، والجمع لإفادة أن المراد بها جملة من الأعمال الصالحة، وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف، وفي عطف العمل على الإيمان دلالة على تغايرهما وإشعار بأن مدار استحقاق البشارة في قوله: "وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات " مجموع الأمرين فإن الإيمان أساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأس لا بناء به[13].

وفي ذلك يقول الرازي : العمل الصالح خارج عن مسمى الإيمان لأنه تعالى قال : " والذين آمنوا وعملوا الصالحات " فلو دل الإيمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الإيمان تكرارا.

أجاب القاضي بأن الإيمان وإن كان يدخل فيه جميع الأعمال الصالحة إلا أن قوله آمن لا يفيد إلا أنه فعل فعلا واحداً من أفعال ا لإيمان، فلهذا حسن أن يقول : " والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ". والجواب: أن فعل الماضي يدل على حصول المصدر في زمان مضي والإيمان هو المصدر فلو دل ذلك على جميع الأعمال الصالحة لكان قوله آمن دليلا على صدور كل تلك الأعمال منه[14].

---

(1) سورة سبأ، آية 4.
(2) سورة فاطر، آية 7.
(3) سورة فصلت، آية 8.
(4) سورة الشورى، آية 22.
(5) سورة الشورى، آية 26.
(6) سورة الجاثية، آية 30.
(7) سورة محمد، آية 2.
(8) سورة الفتح، آية 29.
(9) سورة البروج، آية 11.
(10) سورة التين، آية 6.
(11) سورة البينة، آية 7.
(12) سورة العصر، آية 3.
(13) تفسير أبي السعود، 119/1.
(14) التفسير الكبير للرازي، 163/3.

يقول القرطبي: قوله تعالى: "وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" رد على من يقول: إن الإيمان بمجرده يقتضي الطاعات؛ لأنه لو كان ذلك ما أعادها؛ فالجنة تُنال بالإيمان والعمل الصالح . وقيل: الجنة تُنال بالإيمان؛ والدرجات تُستحق بالأعمال الصالحات [(1)]، ويقول سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾[(2)]، أي ولكل عامل في طاعة الله أو معصية منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها ويثيبه بها، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ... وفي الآية إيماء إلى أن مناط السعادة والشقاء هو عمل الإنسان ومشيئته، فإن شاء عمل عمل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فكان من الذين سمعوا القول واتبعوا أحسنه، فجازاه الله أحسن الجزاء[(3)].

ولقد أعد الله سبحانه وتعالى للذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات الفردوس نزلا، يقول ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾، قال قتادة: الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها . وقال أبو أمامة الباهلي: الفردوس سرة الجنة. وقال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: "من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها" قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله تعالى فسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه قال - وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة"[(4)]. ومن هذا المنطلق - أي العمل الصالح - تنبثق صفات أخرى كثيرة منها:

صفة إقامة الصلاة : وقبل الحديث عن معنى إقامة الصلاة لغة وشرعاً وبيان ثواب الله للذين يحافظون على صلواتهم نبين الآيات التي وردت في القرآن الكريم واختصت بهذه الصفة منها:

* قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[(5)].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[(6)].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[(7)].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[(8)].

* وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[(9)].

* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[(10)].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 238/1.
(2) سورة الأنعام، آية 132.
(3) تفسير المراغي، 36/8.
(4) الجامع لأحكام القرآن، 68/11.
(5) سورة البقرة، آية 3.
(6) سورة البقرة، آية 277.
(7) سورة الأنفال، آية 3.
(8) سورة التوبة، آية 18.
(9) سورة التوبة، آية 71.
(10) سورة الرعد، آية 22.

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[1].

* وقولة تعالى : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[2].

* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[3].

* وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[4].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[5].

* وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُ مْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾[6].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[7].

* وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[8].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[9].

* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[10].

بعد أن سردنا الآيات التي وردت فيها هذه الصفة في القرآن الكريم نبين معنى إقامة الصلاة لغة وشرعاً، ثم نبين صفات المصلين وجزاؤهم كما بينها علماء التفسير، فنقول وبالله التوفيق:

أصل القيام في اللغة هو الانتصاب المضاد للجلوس والاضطجاع وإنما يقوم القائم لقصد عمل صعب لا يتأتى من قعود، فيقوم الخطيب ويقوم العامل ويقوم الصانع ويقوم الماشي، فكان للقيام لوازم عرفية مأخوذة من عوارضه اللازمة ولذلك أطلق مجازاً على النشاط في قولهم قام بالأمر ومن أشهر استعمال هذا المجاز قولهم : قامت السوق وقامت الحرب، وقالوا في ض ده ركدت ونامت ويفيد في كل ما يتعلق به معنى مناسبا لنشاطه المجازي وهو من قبيل المجاز المرسل، وشاع فيها حتى ساوى الحقيقة فصارت كالحقائق، ولذلك صح بناء المجاز الثاني والاستعارة عليها، فإقامة الصلاة استعارة تبعية شبهت المواظبة على الصلوات والعناية بها بجعل الشيء قائماً، وأحسب أن تعليق هذا الفعل بالصلاة من مصطلحات القرآن وقد جاء به القرآن في أوائل نزوله فقد ورد في سورة المزمل "وأقيموا الصلاة" وهي ثالثة السور نزولاً...

والصلاة اسم جامد بوزن فَعَلة محرك العين "صَلَوة" هذا اللفظ في كلام العرب بمعنى الدعاء كقول الأعشى:

(1) سورة الحج، آية 35.
(2) سورة الحج، آية 41.
(3) سورة المؤمنون، آية 9.
(4) سورة النور، آية 37.
(5) سورة النمل، آية 3، وسورة لقمان، آية 4.
(6) سورة فاطر، آية 29.
(7) سورة فاطر، آية 18.
(8) سورة الشورى، آية 38.
(9) سورة المعارج، آية 23.
(10) سورة المعارج، آية 34.

تقول بنتي وقد يُممت يا ربُّ جَّنب أبى

عليك مثل الذي جفناً فإن لُجنب المرء

وورد بمعنى العبادة قال الأعشى:

يراوح من صلوات طوراً سجوداً وطوراً

فأما الصلاة المقصودة : فهي العبادة المخصوصة ال مشتملة على قيام وقراءة وركوع وسجود وتسليم[1].

يقول القرطبي: وإقامة الصلاة: أداؤها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها[2].

ويوضح الرازي في تفسيره لإقامة الصلاة وجوها : أحدها: أن إقامتها تعديل أركانها وحفظها من أن يقع خلل في فرائضها وسننها وآدابها، من أقام العود إذا قومه.

وثانيها: أنها عبارة عن المداومة عليها كما قال تعالى : ﴿والَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، وقال: ﴿الَذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ من قامت السوق إذا نفقت، وإقامتها نفاقها؛ لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات، وإذا أضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه.

وثالثها: أنها عبارة عن التجرد لأدائها وأن لا يكون في مؤديها فتور من قولهم : قام بالأمر، وقامت الحرب على ساقها، وفي ضده قعد عن الأمر، وتقاعد عنه إذا تقاعس وتثبط.

ورابعها: إقامتها عبارة عن أدائها، وإنما عبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنها بالقنوت وبالركوع وبالسجود، وقالوا : سبح إذا صلى، لوجود التسبيح فيها، قال تعالى: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ﴾ وأعلم أن الأولى حمل الكلام على ما يحصل معه من الثناء العظيم، وذلك لا يحصل إلا إذا حملنا الإقامة على إدامة فعلها من غير خلل في أركانها وشرائطها[3].

يقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿الَذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ أي على مواقيتها، وقال عقبة بن عامر : هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا . والدائم الساكن؛ ومنه: نهى عن البول في الماء الدائم، أي الساكن وقال بن جرير والحسن : هم الذين يكثرون فعل التطوع منها .. وقال في قوله تعالى : ﴿والَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ قال قتادة على وضوئها وركوعها وسجودها. قال ابن جرير : التطوع[4]. والمحافظة على الصلا ة إقامتها والمبادرة إليها أوائل أوقاتها وإتمام ركوعها وسجودها[5].

وعليه فإن الدوام غير المحافظة - فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها لا يخُّلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل.

ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها، و يكملوها بسننها وآدابها،ويحفظوها من الإحباط باقتراف المأثم . فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها[6].

ثم بين سبحانه جزاء من كانت هذه صفتهم بقوله : ﴿أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ أي أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات، ثم قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ﴾، أي من عمل بما ذكر في

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور، 231/1-232.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 164/1.
(3) التفسير الكبير للرازي، 28/2-29.
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 292/18.
(5) نفسه، 107/12-108.
(6) نفسه، 292/18.

هذه الآيات فهم الوارثون؛ أي يرثون منازل أهل النار في الجنة . وفي الخبر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويجعل الكفار في منازلهم في النار ". خرجه ابن ماجة بمعناه. عن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ : "ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله الله تعالى: أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ. إسناده صحيح[1].

والصلاة سبب للرزق، قال الله تعالى : ﴿وأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ﴾ أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة ويمتثلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها : وهذا الخطاب للنبي ﷺ ويدخل في عمومه جميع أمته وأهل بيته خاصة : وكان النبي عليه السلام بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى بيت فاطمة وعلي رضوان الله عليهما فيقول الصلاة .. ويوضح ذلك لنا قوله تعالى : ﴿لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً﴾ أي لا نسألك أن ترزق نفسك وإياهم، وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق بل نحن نتكفل برزقك وإياهم. فكان ﷺ إذا نزل بأهله ضيق، أمرهم بالصلاة . وقد قال الله تعالى : ﴿ ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ومَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾[2]، وقال تعالى ما دحا المؤمنين بربهم، المطيعين أمره المؤدين شكره، المحسنين إلى خلقه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، مخبراً عما أعد لهم من الكرامة، وأنهم يوم القيامة من التبعات آمنون فقال ﴿إنَّ الَذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وأَقَامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

صفة إيتاء الزكاة والإنفاق : هذه الصفة أشد الصفات ارتباطاً بالصفة التي قبلها وهي صفة إقامة الصلاة، فأكثر آيات القرآن الكريم التي ذكرت فيها صفة إقامة الصلاة اقترنت بها صفة إيتاء الزكاة، وسوف نبين ذلك ـ بمشيئة الله ـ بعد ذكر الآيات التي بينت تلك الصفة:

* قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[4].

* وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[5].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[6].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[7].

* وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[8].

* وقوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[9].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

(1) الجامع لأحكام القرآن، 108/12.
(2) نفسه، 263/11.
(3) تفسير القرآن العظيم ابن كثير، 493/1.
(4) سورة البقرة، آية 3.
(5) سورة البقرة، آية 261.
(6) سورة البقرة، آية 262.
(7) سورة البقرة، آية 274.
(8) سورة البقرة، آية 277.
(9) سورة آل عمران، آية 17.

* وقوله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[3].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[4].

* وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[5].

* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[6].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[7].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[8].

* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَكَاةِ فَاعِلون﴾[9].

* وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[10].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[11].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[12].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[13].

* وقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[14].

---

(1) سورة آل عمران، آية 134.
(2) سورة الأعراف، آية 156.
(3) سورة الأنفال، آية 3.
(4) سورة التوبة، آية 18.
(5) سورة التوبة، آية 71.
(6)سورة الرعد، آية 22.
(7) سورة الحج، آية 35.
(8) سورة الحج، آية 41.
(9) سورة المؤمنون، آية 4.
(10) سورة النور، آية 37.
(11) سورة النمل، آية 3.
(12) سورة لقمان، آية 4.
(13) سورة الأحزاب، آية 35.
(14) سورة السجدة، آية 16.

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾(1).

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(2).

* وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾(3).

* وقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(4).

* وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾(5).

* وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾(6).

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾(7).

* وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾(8).

هذه بعض الآيات التي وردت في **صفة إيتاء الزكاة والإنفاق في سبيل الله** ، نبين معاني طرفا منها: ففي قوله تعالى: ﴿ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يقول ابن عاشور: صلة ثالثة في وصف المتقين، مما يحقق معنى التقوى وصدق الإيمان من بذل عزيز على النفس في مرضاة الله؛ لأن الإيمان لما كان مقره القلب ومترجمه اللسان كان محتاجا إلى دلائل صدق صاحبه وهي عظائم الأعمال، من ذلك التزام آثاره في الغيبة الدالة عليه ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ومن ذلك فعل الصلوات لأنها دليل على تذكر المؤمن من آمن به، ومن ذلك السخاء ببذل المال للفقراء امتثالا لأمر الله بذلك(9).

ولقد دار خلاف حول الرزق هل يشتمل على الحلال والحرام أم على الحلال فقط؟ وقبل الإجابة عن ذلك لا بد أن نقف على معنى الرزق لغة وشرعا، ثم معنى الإنفاق لغةً وشرعاً، ثم جزاء من كانت هذه صفتهم.

يقول أبو السعود في معنى الرزق لغة : الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى، نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعى، وقيل : هو بالفتح مصدر، وبالكسر اسم، وفي العرف ما ينتفع به الحيوان(10)، ويوافقه على ذلك القرطبي فيقول : الرزق مصدر رزق يرزقَ رزقا ورِزقا، فالرزق بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، وجمعه أرزاق؛ والرزق العطاء . والرازقية: ثياب كتان بيض، وارتزق الجند : أخذوا أرزاقهم، والرزقة : المرة الواحدة هكذا قال أهل اللغة وقال ابن السكيت: الرزق بلغة أزدشنوءة: الشكر؛ وهو قوله تعالى: " وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون" أي شكركم تكذيب، ويقول رزقني: أي شكرني(11).

---

(1) سورة فاطر، آية 29.
(2) سورة الحديد، آية 18.
(3) سورة الذاريات، آية 19.
(4) سورة الإنسان، آية 8.
(5) سورة المعارج، آية 24.
(6) سورة الليل، آية 54.
(7) سورة الليل، آية 184.
(8) سورة الأعلى، آية 14.
(9) تفسير التحرير والتنوير، 234/1.
(10) تفسير أبي السعود، 54/1.
(11) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 178/1.

والرزق عند أهل السنة ما صح الانتفاع به حلالاً كان أو حراماً، خلافا للمعتزلة في قولهم: إن الحرام ليس برزق لأنه لا يصح تملكه، وإن الله لا يرزق الحرام وإنما يرزق الحلال والرزق لا يكون إلا بمعنى الملك(1).

وقيل أن الرزق ما يناله الإنسان من موجودات هذا العالم التي يسد بها ضروراته وحاجاته وينال بها مُلائمة، فيطلق على كل ما يحصل به سد الحاجة في الحياة من الأطعمة والأنعام والحيوان والشجر المثمر والثياب وما يقتني به ذلك من النقدين قال تعالى : ﴿وإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى والْيَتَامَى والْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ أي مما تركه الميت. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ ويَقْدِرُ وفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وقال في قصة قارون : ﴿وآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ إلى قوله ﴿ويْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ويَقْدِرُ ﴾ مرادا بالرزق كنوز قارون، وقال: ﴿ولَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ ﴾ وأشهر استعماله بحسب ما رأيت كلام العرب وموارد القرآن الكريم أنه ما يحصل ذلك للإنسان، وأما إطلاقه على ما يتناوله الحيوان من المرعى والماء فهو على المجاز(2).

يقول الرازي : وأصل الإنفاق : إخراج المال من اليد، ومنه نفق المبيع نفاقا إذا كثر المشترون له، ونفقت الدابة إذا ماتت أي خرج روحها، ونافقاء الفأرة لأنها تخرج منها ومنه النفق في قوله تعالى:﴿أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ﴾(3).

وإذا عرفنا أصل الإنفاق لغة فلابد من الوقوف على فوائد وردت في قوله تعالى : ﴿ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ بينها لنا الرازي يقول : في قوله: ﴿ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فوائد. أحدها: أدخل من التبعيضية صيانة لهم، وكفى عن الإسراف والتبذير المنهي عنه . وثانيها: قدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم، كأنه قال ويخصون بعض المال بالتصدق . وثالثها: يدخل في الإنفاق المذكور في الآية، الإنفاق الواجب، والإنفاق المندوب، والإنفاق الواجب أقسام . أحدها: الزكاة وهي قوله في آية الكنز ﴿ولا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وثانيها: الإنفاق على النفس وعلى من تجب عليه نفقته. وثالثها: الإنفاق في الجهاد. وأما الإنفاق المندوب: فهو أيضاً إنفاق لقوله: ﴿وأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ ﴾ وأراد الصدقة لقوله بعده : ﴿فَأَصَّدَّقَ وأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ فكل هذه الأنفاقات داخلة تحت الآية لأن كل ذلك سبب لاستحقاق المدح(4).

وإذا كان ذلك كذلك واستحق أصحاب هذه الصفة المدح من ربهم بسبب إنفاقهم فانظر إلى ما أعد الله لهم من الجزاء : يقول تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من المبتدأ والخبر وقعت خبراً عن الموصول وفي تكرير الإسناد وتقييد الأجر بقوله "عند ربهم" من التأكيد والتشريف ما لا يخفي، وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيذان بأن ترتيب الأجر على ما ذكر من الإنفاق وترك اتباع المن والأذى أمر بين لا يحتاج إلى التصريح بالسببية وأما إبهام أنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه "ولا خوف عليهم "في الدارين من لحوق مكروه من المكاره " ولا هم يحزنون" لفوات مطلوب من المطالب قل أو جل: أي لا يعتريهم ما يوجبه لا أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنهم لا يعتريهم خوف وحزن أصلا بل يس تمرون على النشاط والسرور، كيف لا واستشعار الخوف

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 177/1.
(2) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، 2343/1.
(3) التفسير الكبير للرازي، 31/1.
(4) التفسير الكبير للرازي، 31/1.

والخشية استعظاما لجلال الله وهيبته واستقصار للجد والسعي في إقامة حقوق العبودية من خواص الخاصة والمقربين[1].

كما وعدهم سبحانه وتعالى بعقبى الدار ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ أي عاقبة الآخرة، وهي الجنة بدل النار، والدار غداً داران : الجنة للمطيع، والنار للعاصي؛ فلما ذكر وصف المطيعين فدارهم الجنة لا محالة. وقيل: عني بالدار دار الدنيا؛ أي لهم جزاء ما عملوا من الطاعات في دار الدنيا.

وقوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي لهم جنات عدن، في "جنات عدن" بدل من "عقبى" ويجوز أن تكون تفسيرا لـ "عقبى الدار أي لهم دخول جنات عدن .. "وجنات عدن" وسط الجنة وقصبتها وسقفها عرش الرحمن، قال القشيري أبو نصر عبد الملك . وفي صحيح البخاري إذا سألتم الله فسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنها ر الجنة" .. وقال ابن عمرو : أن في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج؛ فيه ألف باب، على كل باب خمسة آلاف حِبَرة لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد[2].

ومن الصفات العملية أيضاً: **صفة ذكر الله:** وقد وردت هذه الصفة في عدة آيات من القرآن الكريم منها:

* قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3].
* وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ **قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ** فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[4].
* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[5].
* وقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[6].
* وقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[7].
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِ يَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾[8].
* وقوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[9].

ورد في الآيات السابقة قوله تعالى : "ذكروا الله" ومعناه بالخوف من عقابه والحياء منه . الضحاك: ذكروا العرض الأكبر على الله، وقيل: تفكروا في أنفسهم أن الله سائلهم عنه، قاله الكلبي ومقاتل، وعن مقاتل أيضاً: ذكروا الله باللسان عند الذنوب "فاستغفروا لذنوبهم" أي طلبوا الغفران

(1) تفسير أبي السعود، 400/1.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 311/9.
(3) سورة آل عمران، آية 135.
(4) سورة آل عمران، آية 191.
(5) سورة الرعد، آية 28.
(6) سورة النور، آية 37.
(7) سورة السجدة، آية 16.
(8) سورة فاطر، آية 29.
(9) سورة الذاريات، آية 17.

لأجل ذنوبهم. وكل دعاء فيه هذا المعنى أو لفظه فهو استغفار [1]. الاستغفار مندوب إليه، وقد أثنى أثنى الله تعالى على المستغفرين في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[2]، وقوله: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾[3]. وغيرها فقال: ﴿وبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وقال أنس ابن مالك: أمرنا أن نستغفر بالسحر سبعين استغفارة... وما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "ينزل الله ﷻ إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فاستجب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فاغفر له فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر"[4].

وقال نافع: كان ابن عمر يحي الليل ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول لا. فيعاود الصلاة ثم يسأل فإذا قلت نعم قعد يستغفر...قلت فهذا كله يدل على أنه استغفار باللسان مع حضور القلب[5]، القلب[5]، والمختار من لفظ الاستغفار ما رواه البخاري عن شداد بن أوس، وليس له في الجامع غيره عن النبي ﷺ قال: سيد الاستغفار أن تقول: "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فأنه لا يغفر الذنوب إلا أنت - قال - ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات من ليله قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة "[6]. وقالوا أن سيد الاستغفار وقته الأسحار. فالاستغفار عظيم وثوابه جسيم، حتى لقد روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: "من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان قد فر من الزحف"[7].

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ ذكر تعالى ثلاث هيئات لا يخلو ابن آدم منها في غالب أمره، فكأنها تحصر زمانه. ومن هذا المعنى قول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل حال أو على كل أحيانه". أخرجه مسلم. فدخل في ذلك كونه على الخلاء وغير ذلك. وقد اختلف العلماء في هذا؛ فأجاز ذلك عبد الله ابن عمرو وابن سيرين والنخعي، وكره ذلك ابن عباس وعطاء والشعبي. والأول أصح لعموم الآية والحديث. قال النخعي: لا بأس بذكر الله في الخلاء فإنه يصعد: المعنى: تصعد به الملائكة مكتوباً في صحفهم؛ فحذف المضاف دليله قوله تعالى: "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد"[8]. وقال: "وإن عليكم

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 210/4.

(2) سورة آل عمران، آية 16.

(3) سورة آل عمران، آية 17.

(4) ذكر الألباني أن الحديث صحيح : وقد ورد عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجبير بن مطعم ورفاعة بن عرابة الجهني وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن مسعود . أما حديث أبي هريرة فله عنه طرق: الأولى والثانية عن أبي عبد الله الأغر وعن أبي سلمة عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له " أخرجه مالك (30/214/1) وعنه البخاري (289/1 و 190/4 و 479) ومسلم (175/2) وأبو داود (1315) والترمذي (263/2- بولاق) وابن نصر في قيام الليل (35) والبيهقي في السنن (2/3)وفي الأسماء والصفات (316) وأحمد (487/2) كلهم عن مالك عن ابن شه اب عنهما "وراجع أرواء الغليل للألباني195/2-196).

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 40/4.

(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 40/4.

(7) نفسه،210/4.

(8) سورة ق، آية 18.

لحافظين كراما كاتبين "[1]. ولأن الله ﷻ أمر عباده بالذكر على كل حال ولم يستثن فقال : " اذكروا الله ذكرا كثيرا"[2]. وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[3].

وقال: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[4]. فعم. فذاكر الله تعالى على كل حالاته مثاب مأجور على كل حال[5].

وخاصية أخرى للذاكرين الله : وهي اطمئنان القلوب بذكر الله، يقول ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[6].

وقد فسر الشوكاني اطمئنان القلوب في قوله : ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ قال: أي تسكن وتستأنس بذكر الله سبحانه بألسنتهم، كتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد أو بسماع ذلك من غيرهم، وقد سمي سبحانه القرآن ذكرا قال : ﴿وهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾ وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ قال الزجاج: أي إذا ذكر الله وحده آمنوا به غير شاكين .. وقيل:" تطمئن قلوبهم بتوحيد الله، وقيل: المراد بالذكر هنا الطاعة، وقيل بوعد الله، وقيل: بالحلف بالله، فإذا حلف خصمه بالله سكن قلبه وقيل بذكر رحمته، وقيل بذكر دلائله الدالة على توحيده " ألا بذكر الله" وحده دون غيره تطمئن القلوب والنظر في مخلوقات الله سبحانه وبدائع صنعه وإن كان يفيد طمأنينة في الجملة . لكن ليست كهذه الطمأنينة، وكذلك النظر في المعجزات من الأمور التي لا يطيقها البشر . فليس إفادتها للطمأنينة كإفادة ذكر الله[7].

وينبثق من صفة ذكر الله صفة أخرى: **صفة الاستغفار: وتنقسم ثلاثة أقسام:**

أ- الاستغفار من الذنوب : ومثاله:* قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[8].

ب-الاستغفار من نزغ الشيطان : ومثاله: * قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[9].

ج- **الاستغفار المطلق** ومثاله: * قوله تعالى : ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَ الْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[10].

*وقوله تعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[11].

يقول ابن كثير في قوله تعالى : ﴿والْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ دل على فضيلة الاستغفار وقت الاسحار، وقد قيل أن يعقوب عليه السلام، لما قال لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ أنه أخرهم إلى وقت السحر. وثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: ينـزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى

(1) سورة الانفطار، آية 10 -11.
(2) سورة الأحزاب، آية 41.
(3) سورة البقرة، آية 152.
(4) سورة الكهف، آية 30 .
(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 210/4.
(6) سورة الرعد، آية 28.
(7) فتح القدير للشوكاني، 81/3.
(8) سورة آل عمران، آية 135.
(9) سورة الأعراف، آية 201.
(10) سورة آل عمران، آية 17.
(11) سورة الذاريات، آية 18.

ثلث الليل الأخير، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فاستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ الحديث[1]. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أوله وأوسطه وآخره، فانتهى وتره إلى السحر ..وروي ابن مردوية عن أنس ابن مالك قال: كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة[2].

ومن الصفات الفعلية أيضاً :**صفة الجهاد في سبيل الله :** وقد وردت صفة الجهاد في آيات عديدة منها:

* قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [3].
* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[4].
* وقوله تعال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾[5].
* وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[6].

ونحن نبين في هذه الصفة أموراً منها:

- ما ترشد إليه الآيات:

1 - القتال ينبغي أن يكون لإعلاء كلمة الله تعالى وإعزاز دينه.
2 - الله جل وعلا يكره العدوان والظلم والطغيان أياً كان مصدره.
3 - فتنة المؤمنين بالاضطهاد والتعذيب والتشريد مثل القتل.
4 - لا يعتدى على النساء والضعفاء والصبيان ممن لا قدرة لهم على القتال.
5 - الجهاد لدفع أذى المشركين، وقبر الفتنة، وتأمين سير الدعوة.
6 - ترك الإنفاق والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس سبب للهلاك.

*** حكمة التشريع:-**

الصراع بين الحق والباطل قديم قدم هذه الحياة، لا يهدأ ولا ينتهي ولا يزول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون.

ولابد لكل أمة من أمم الأرض، تريد أن تحيا حياة العزة والكرامة، من أن تستعد الاستعداد الكامل لمجابهة عدوها بكل ما تملك من قوة وأن تأخذ بأسباب النصر فتهيئ شبابها للجهاد والقتال، لأنه لا عيش في هذه الدنيا إلا للأقوياء، ولا منطق إلا للقوة، وقديماً قال شاعرنا العربي:

ومن لم يزد عن حوضه ... يُهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

والإسلام دين الله إلى الإنسانية، يهتم بدعوة الناس إلى الدخول في هدايته، والانضواء تحت رايته، لينعموا بحياة الأمن والاستقرار، ويعيشوا العيشة الكريمة التي أرادها الله لنبي الإنسانية وإن الأمة الإسلامية، هي الأمة التي اختارها الله لإعلاء دينه وتبليغ وحيه، وإيصال هذا الهدى والنور إلى أمم الأرض فإذا وقف أحد في طريق الدعوة، وأراد أن يصدها عن المضي في طريقها، فلابد من دحره وتطهير الأرض من شره . لتصل هداية الله إلى النفوس، وتعلو كلمة الحق، ويأمن الناس على ح ريتهم الدينية في الإيمان بالله الواحد القهار . لذلك شرع القتال لدفع

(1) سبق تخريجه.
(2) تفسير القرآن العظيم ابن كثير، 529/1.
(3) سورة النساء، آية 76.
(4) سورة التوبة، آية 20.
(5) سورة الشورى، أية 39.
(6) سورة الصف، آية 4.

عدوان الظالمين، ولتحطيم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإيصالها للناس في حرية واطمئنان، وصدق الله "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله"(1).

* الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ:

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من مات ولم يغزو ولم يحدّث نفسه به مات على شعبة من نفاق" رواه مسلم(2).
- وعن أنس أن النبي ﷺ قال: " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم " رواه أحمد والنسائي وصححه الحاكم(3).

جزاء المجاهدين:-

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ﴾. أي الجامعون بين الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس "أعظم درجة عند الله" وأحق بما لديه من الخير من تلك الطائفة المفتخرة بأعمالها المحبطة الباطلة، وفي قوله ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ تشريف عظيم للمؤمنين، والإشارة بقوله "أولئك" إلى المتصفين بالصفات المذكورة "هم الفائزون" أي المختصون بالفوز عند الله، ثم فسر الفوز بقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ ورِضْوَانٍ وجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ والتنكير في الرحمة والرضوان والجنات ل لتعظيم والمعنى أنها فوق وصف الواصفين وتصور المتصورين. والنعيم المقيم: الدائم المستمر الذي لا يفارق صاحبه .. أي أعطاهم الله سبحانه هذه الأجور العظيمة لكون الأجر الذي عنده عظيم يهب منه ما يشاء لمن يشاء، وهو ذو الفضل العظيم(4).

كذلك ومن صفاتهم الفعلية أيضاً :**صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** : وقد وردت هذه الصفة في آيات عديدة في القرآن الكريم منها:

* قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(5).
* وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(6).
* وقوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(7).
* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾(8).

يقول ﷺ: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"

(1) تفسير آيات الأحكام للصابوني، 235/1-236.
(2) بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني حديث رقم 1169، ص276.
(3) نفسه حديث رقم 1170 ص276.
(4) فتح القدير للشوكاني، 345/2.
(5) سورة آل عمران، آية 110.
(6) سورة التوبة، آية 71.
(7) سورة التوبة، آية 112.
(8) سورة الحج، آية 41.

وإذا كان كذلك؛ فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به، ولهذا قيل : ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر، وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب، والله لا يحب الفساد، بل كل الأمر الذي أمر الله به فهو صلاح . وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم المفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به، وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم؛ إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباده وليس عليه هداهم، وهذا معنى قوله تعالى : "يا أيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم"[1]. والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضله ضلال الضلال[2].

والأمر بالمعروف له ثلاث حكم:

الأولى: إقامة حجة الله على خلقه، كما قال تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

الثانية: خروج الأمر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف، كما قال تعالى في صالحي القوم الذين اعتدى بعضهم في السبت ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ فدل على أنه لو لم يخرج من العهدة، لكان ملوما.

الثالثة: رجاء النفع للمأمور، كما قال تعالى : ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿وذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ المُؤْمِنِينَ﴾ ويجب على الإنسان أن يأمر أهله بالمعروف كزوجته وأولاده ونحوهم وينهاهم عن المنكر، لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾ الآية، وقوله ﷺ: "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته" الحديث[3].

ولقد جمعت آية واحدة صفات عديدة إلى جانب هذه الصفة، وهي قوله تعالى : ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ والْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ﴾.

يقول ابن كثير : هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة:

1 - التائبون: من الذنوب كلها التاركون للفواحش.

2 - العابدون: أي القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها وهي الأقوال والأفعال، فمن أخص الأقوال الحمد فلهذا قال:

أ- الحامدون ب- ومن أفضل الأعمال:

الصيام: وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع وهو المراد بالسياحة ها هنا، ولهذا قال: السائحون: كما وصف أزواج النبي ﷺ بذلك في قوله: سائحات : أي صائمات، وكذا الركوع والسجود وهما عبارة عن الصلاة، ولهذا قال:

3- الراكعون الساجدون: وهم مع ذلك ينفعون خلق الله ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه، وهو حفظ حدود الله في

(1) سورة المائدة، آية 105.

(2) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية، ص10.

(3) أضواء البيان للشنقطي، 2/176-177.

تحليله وتحريمه علما وعملا، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق، ولهذا قال: "وبشر المؤمنين" لأن الإيمان يشمل هذا كله، والسعادة كل السعادة لمن اتصف به[1].

ومن صفاتهم الفعلية التي وصفهم الله بها: **صفة رعاية الأمانة والعهد** وقد وردت هذه الصفة في آيات عديدة منها:

* قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[2].

*وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[3].

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ أي إذا أؤتمنوا لم يخونوا بل يؤدونها إلى أهلها وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صلى عليه وسلم : "آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان"[4].

يوضح الشوكاني ذلك بقوله : والأمانة ما يؤتمنون عليه، والعهد ما يعاهدون عليه من جهة الله سبحانه أو جهة عباده، وقد جمع العهد والأمانة كل ما يتحمله الإنسان من أمر الدين والدنيا، والأمانة أعم من العهد، فكل عهد أمانة، ومعنى راعون: حافظون[5].

ومن صفاتهم العفو، والعفو ينقسم قسمين:

أ- العفو عن الناس : ومثاله:* قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّ اءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[6].

ب- العفو المطلق: ومثاله: * قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[7].

يقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ العفو عن الناس أجّل ضروب فعل الخير؛ حيث يجوز للإنسان أن يعفو وحيث يتجه حقه . وكل من استحق عقوبة فتركت له فقد عفى عنه . واختلف في معنى "عن الناس" فقال أبو العالية والكلبي والزجاج : "والعافين عن الناس" يريد عن المماليك. قال ابن عطية: وهذا حسن من جهة المثال، إذ هم الخدمة فهم يذنبون كثيرا والقدرة عليهم متيسرة، وإنفاذ العقوبة سهل . فلذلك مثل هذا المفسر به..وقال زيد بن أسلم: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ عن ظلمهم وإساءتهم. وهذا عام وهو ظاهر الآية. وقال مقاتل: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال عند ذلك : "إن هؤلاء من أمتي قليل إلا من عصمه الله وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت ".فمدح الله تعالى الذين يغفرون عند الغضب وأثنى عليهم فقال : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي يتجاوزون ويحلمون عمن ظلمهم[8].

ومن صفاتهم الفعلية أيضاً **صلة الرحم: ومنها** قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾[9].

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 608/2-609.
(2) سورة المؤمنون، آية 8، وسورة المعارج، آية 32.
(3) سورة الرعد، آية 21.
(4) تفسير القرآن العظيم ابن كثير، 383/3.
(5) فتح القدير للشوكاني،474/3.
(6) سورة آل عمران، آية 134.
(7) سورة الشورى، آية 37.
(8) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 207/4، 35/16.
(9) سورة الرعد، آية 21.

يقول الشوكاني: ظاهره شمول كل ما أمر الله بصلته ونهي عن قطعه من حقوق الله وحقوق عباده. ويدخل تحت ذلك صلة الأرح ام دخولاً أولياً . وقد قصره كثير من المفسرين على صلة الرحم[(1)].

ومن صفاتهم أيضاً **اجتناب الكبائر:** وقد وردت هذه الصفة في عدة آيات منها :* قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[(2)].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[(3)].

ويقول القرطبي: روي أبو حاتم البستي في صحيح مسنده عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر ثم قال: "والذي نفسي بيده"ثلاث مرات، ثم سكت فأكب كل رجل منا يبكي حزيناً ليمين رسول الله ﷺ ثم قال: " ما من عبد يؤ دي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له ثمانية أبواب من الجنة يوم القيامة حتى إنها لتصفق " ثم تلا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾. وروي عن ابن مسعود أنه قال : الكبائر أربعة: اليأس من ر وح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، والشرك بالله، دل عليها القرآن . وروي عن ابن عمر : هي تسع: قتل النفس، وأكل الربا،وأكل مال اليتيم، ورمي المحصنة، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، والسحر، والإلحاد في البيت الحرام . ومن الكبائر عند العلماء: القمار والسرقة وشرب الخمر وسب السلف الصالح وعدول الحكام عن الحق واتباع الهوى واليمين الفاجرة والقنوط من رحمة الله وسب الإنسان أبويه - بأن يسب رجلا فيسب ذلك الرجل أبويه - والسعي في الأرض فسادا، إلى غير ذلك مما يكثر تعداده حسب ما جاء بيانها في الق رآن[(4)].ومن كانت هذه صفته أي اجتنبت الكبائر كان ثوابه من الله أن يدخله مدخلا كريما أي الجنة.

ومن صفاتهم الفعلية أيضاً **المسارعة في الخيرات:**وقد وردت في عدة آيات منها:

* قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[(5)].

* وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[(6)].

يقول ابن كثير : يقول تعالى: "ثم جعلنا ا لقائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذي اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة، ثم قسمها إلى ثلاثة أنواع، فقال تعالى : "فمنهم ظالم لنفسه" وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات. "ومنهم مقتصد" وهو المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، "ومنهم سابق بالخيرات بأذن الله " وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا " قال: هم أمة محم د ﷺ، ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب[(7)].

(1) فتح القدير للشوكاني، 78/3.
(2) سورة الشورى، آية 37.
(3) سورة النجم، آية 32.
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 159/5-160.
(5) سورة المؤمنون، آية 61.
(6) سورة فاطر، 32.
(7) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 882/3 .

ومن صفاتهم الفعلية أيضاً **عدم شهادة الزور :** وقد وردت في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾(1).

هذا هو الوصف السابع من أوصاف عباد الرحمن التي ذكرها الله في سورة الفرقان ووصفهم بالصفات الآتية:

- **الصفة الأولى:** هم الذين يمشون على الأرض هونا : أي في لين وسكينة ووقار، لا يضربون بأقدامهم أشرا وبطرا، ولا يتبخترون في مشيهم.

- **الصفة الثانية:** قوله تعالى: ﴿وإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ أي إذا خاطبهم السفهاء بغلظة وجفاء قالوا قولا يسلمون من الأثم، قال الحسن : لا يجهلون على أحد، وإذا جُهل عليهم حَلُموا.

- **الصفة الثالثة:** قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وقِيَاماً﴾ أي يحيون الليل بالصلاة ساجدين لله على جباهم، أو قائمين على أقدامهم كقوله تعالى : "كانوا قليلا من الليل ما يهجعون " قال الرازي: لما ذكر سيرتهم في النهار من وجهين : ترك الإيذاء وتحمل الأذى بيّن هنا سيرتهم في الليالي وهو اشتغالهم بخدمة الخالق.

- **الصفة الرابعة:** قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾ أي يدعون ربهم أن ينجيهم من عذاب النار، ويبتهلون إليه أن يدفع عنهم عذابها " إن عذابها كان غراما" أي لازما دائما غير مفارق "إنها ساءت مستقرا ومقاما " أي بئست جهنم منزلا ومكان إ قامة، قال القرطبي: المعنى بئس المستقر وبئس المقام، فهم مع طاعتهم مشفقون خائفون من عذاب الله (2)، وقال الحسن: خشعوا بالنهار وتعبوا بالليل فرقا من عذاب جهنم.

- **الصفة الخامسة:** قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا ﴾ هذا هو الوصف الخامس من أوصاف عباد الرحمن والمعنى : ليسوا مبذرين في إنفاقهم في المطاعم والمشارب والملابس ولا مقصرين ومضيقين بحيث يصبحون بخلاء "وكان بين ذلك قواما" أي وكان إنفاقهم وسطا معتدلا بين الإسراف والتقتير كقوله تعالى : ﴿ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ ﴾الآية.

- **الصفة السادسة:** جمعت ثلاث صفات في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ﴾ أي لا يعبدون معه تعالى إلها آخر بل يوحدونه مخلصين له الدين "ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق "أي لا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بما يحق أن تقتل به النفوس من كفر بعد إيمان أو زنى بعد إحصان، أو القتل قصاصا . "ولا يزنون" أي لا يرتكبون جريمة الزنى التي هي أفحش الجرائم.

- الصفة السابعة: قوله تعالى: ﴿والَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ أي لا يشهد ون الشهادة الباطلة - شهادة الزور - التي فيها تضييع لحقوق الناس(3).

ومن صفاتهم الفعلية أيضاً **إعراضهم عن اللغو :** وهذه الصفة وردت في قوله تعالى :﴿والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾(4).

* وقوله تعالى: ﴿وإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ (5).

يقول الشوكاني: واللغو: قال الزجاج: هو كل باطل ولهو وهزل ومعصية وما لا يجمل من القول والفعل . وقال الضحاك: إن اللغو هنا الشرك . وقال الحسن: أنه المعاصي كلها .

(1) سورة الفرقان، آية 72.
(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 72/13.
(3) صفوة التفاسير للصابوني، 371-269/2.
(4) سورة المؤمنون، آية 3.
(5) سورة الفرقان، آية 72.

ومعنى إعراضهم عنه: تجنبهم له وعدم التفاتهم إليه، وظاهرة اتصافهم بصفة الإعراض عن اللغو في كل الأوقات[1].

وقوله تعالى: ﴿وإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾ أي وإذا مروا بمجالس اللغو- وهي الأماكن التي يكون فيها العمل القبيح كمجالس اللهو، والسينما، والقمار، والغناء المحرم- مروا معرضين مكرمين أنفسهم عن أمثال تلك المجالس[2].

ومن صفاتهم الفعلية أيضاً **حفظ الفروج:** وردت في قوله تعالى:﴿والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[3].

يقول ابن كثير: أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولواط، لا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم أو ما ملكت أيمانهم من السرارى ومن تعاطي ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج، ولهذا قال: "فانهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك" أي غير الأزواج أو الإماء "فأولئك هم العادون" أي المعتدون[4].

ومن صفاتهم الفعلية أيضاً **المشاورة في الأمر :*** في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[5].

روي عن الحسن البصري والضحاك قالا: ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلي رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده[6].

قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. هذا ما لا خلاف فيه. وقد مدح الله المؤمنين بقوله: ﴿وأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[7].

ولذلك كانت من صفاتهم أن "أمرهم شورى بينهم" أي لا يبرمون أمرا حتى يتشاورا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها كما قال تبارك وتعالى : "وشاورهم في الأمر" الآية ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ليطيب بذلك قلوبهم وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة حين طعن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر وهم: عثمان وعلي وطلحة والز بير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهم جميعاً فاجتمع رأي الصحابة كلهم رضي الله عنهم على تقديم عثمان عليهم رضي الله عنهم[8].

ومن صفاتهم الفعلية أيضاً **الإيثار:** يفضلون غيرهم على أنفسهم في الحظوظ الدنيوية : وردت هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[9].

هذه الصفات التي وردت في تلك الآية وإن كانت خاصة بالأنصار حيث مدحهم الله وبين فضلهم وشرفهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ أي والذين اتخذوا المدينة منزلا

---

(1) فتح القدير للشوكاني، 474/3.
(2) صفوة التفاسير للصابوني، 371/2.
(3) سورة المؤمنون، آية 5.
(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 383/3.
(5) سورة الشورى، آية 38.
(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 250/4.
(7) نفسه، 249/4.
(8) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 178/4
(9) سورة الحشر، آية 9

وسكنا وآمنوا قبل كثير من المهاجرين وهم الأنصار قال القرطبي: أي تبوءوا الدار من قبل المهاجرين، واعتقدوا الإيمان وأخلصوه والتبوء : التمكن والاستقرار، وليس يريد أن الأنصار آمنوا قبل المهاجرين، بل أراد آمنوا قبل هجرة النبي ﷺ إليهم[1].

"يحبون من هاجر إليهم" أي يحبون إخوانهم المهاجرين ويواسونهم بأموالهم قال الخازن : وذلك أنهم أنزلوا المهاجرين في منازلهم، وأشركوهم في أموالهم "ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا" أي ولا يجد الأنصار حزازة وغيظا وحسدا مما أعطى المهاجرون من الغنيمة دونهم قال المفسرون: إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعطي الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة منهم فطابت أنفس الأنصار بتلك القسمة "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة" أي يفضلون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الحاجة والفاقة إليه، فإيثارهم ليس عن غنى عن المال، ولكنه عن حاجة وفقر[2].

فنقول إن هذه الصفة وإن كانت خاصة بالأنصار لكنها تنصرف إلى عامة المؤمنين، فيقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك . وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أفضل الصدقة جهد المقل " وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى : "ويطعمون الطعام على حبه" وقوله: ﴿وآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء أثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ فقال رضي الله عنه : أبقيت لهم الله ورسوله. هكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فرده الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن أخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم[3].﴿ويُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ ولَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وإكمالا للفائدة إرتأينا أن نثبت في نهاية البحث آيات جمعت العديد من صفات المؤمنين الأبرار المتقين مع ذكر أقوال علماء التفسير فيها : يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[4].

يصف تبارك وتعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل؛ فقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا ﴾ أي بك وبكتابك وبرسولك "فاغفر لنا" أي بإيماننا بك وبما شرعته لنا، فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا بفضلك ورحمتك، "وقنا عذاب النار" ثم قال: "الصابرين" أي في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرمات، و "الصادقين" فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة، "والقانتين" والقنوت الطاعة والخضوع؛ و "المنفقين" أي من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات، وصلة الأرحام والقربات وسد الخلات، ومواساة ذوي الحاجات" والمستغفرين بالأسحار" دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار[5].

* وقوله تعالى: ﴿...قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[6].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 20/18.
(2) صفوة التفاسير للصابوني، 352/2.
(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 528/4.
(4) سورة آل عمران، آية 16، 17.
(5) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 529/1.
(6) سورة الأعراف، آية 156.

* وقوله ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي سأجعلها للمتصفين بـهذه الصفات، وهم أمة محمد ﷺ "الذين يتقون" أي الشرك والعظائم من الذنوب، قوله ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قيل زكاة النفس، وقيل الأموال ويحتمل أن تكون عامة لهما، فإن الآية مكية " ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي يصدقون[1].

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[2].

وصف الله المؤمنين فقال: "إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فأدوا فرائضه، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا يقول زادتهم تصديقا "وعلى ربهم يتوكلون" يقول لا يرجون غيره. وقال مجاهد: "وجلت قلوبهم" فرقت أي فزعت وخافت، وكذا قال السدى وغير واحد، وهذه صفة المؤمن حق المؤمن الذي إذا ذكر الله وجل قلبه أي خاف منه، ففعل أوامره وترك زواجره، كقوله تعالى :﴿والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ ولَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وهُ مْ يَعْلَمُونَ﴾. وقوله: ﴿وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾، كقوله: ﴿وإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة بل قد حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد ابن حنبل وأبي عبيد "وعلى ربهم يتوكلون" أي لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إ لا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال مقاتل ابن حبان : إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ هذا إقامتها، والإنفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب. والخلق عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه[3].

* وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِ يعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4].

لما ذكر تعالى صفات المنافقين الذميمة عطف بذكر صفات المؤمنين الحميدة، فقال ﴿والْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " وشبك بين أصابعه . وقوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ﴾. كقوله تعالى: ﴿ولْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ﴾ الآية، وقوله ﴿ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، أي يطيعون الله ويحسنون إلى خلقه"ويطيعون الله ورسوله" أي فيما أمر وترك ما عنه زجر ﴿أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾. أي سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات[5].

* وقوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6].

---

(1) نفسه، 399/2.
(2) سورة الأنفال، آية 2-3.
(3) تفسير القرآن العظيم ابن كثير، 452/2-453.
(4) سورة التوبة، آية 71.
(5) نفسه ،575/2.
(6) سورة التوبة، آية 112.

هذا نعت المؤمنون الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة:

1- **التائبون:** من الذنوب كلها التاركون للفواحش.

2-**العابدون:** أي القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها وهي الأقوال والأفعال، فمن أخص الأقوال الحمد.

3-**الحامدون:** ومن أفضل الأعمال الصيام وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع وهو المراد بالسياحة.

4-**السائحون:** كما وصف أزواج النبي ﷺ بذلك في قوله تعالى: "سائحات" أي صائمات.

5-**الراكعون الساجدون :** وهم مع ذلك ينفعون خلق الله يرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه، وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علما وعملا، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق.

ولهذا قال: "وبشر المؤمنين" لأن الإيمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعادة لمن اتصف به[1].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ، وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[2].

يقول تعالى مخبرا عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة بأن لهم عقبى الدار، وهي العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة:

1- الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق : وليسوا كالمنافقين الذين إذا عاهد أحدهم غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا حدث كذب، وإذا أؤتمن خان.

2- والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل : من صلة الأرحام والإحسان إليهم، وإلى الفقراء والمحاويج، وبذل المعروف.

3- يخشون ربهم: أي فيما يأتون وما يذرون من الأعمال، ويراقبون الله في ذلك، ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة فلهذا أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمعتدية.

4- والذين صبروا ابتغاء وجه الله : أي عن المحارم والمآثم، فقطعوا أنفسهم عنها لله ﷻ ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه.

5- وأقاموا الصلاة : بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي.

6- وأنفقوا مما رزقناهم: أي على الذين يجب عليهم الإنفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب من فقراء ومحاويج ومساكين "سراً وعلانية" أي في السر والجهر، لم يمنعهم من ذلك حال من الأحوال، آناء الليل وأطراف النهار.

7- ويدرءون بالحسنة السيئة :أي يدفعون القبيح بالحسن، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرا واحتمالا وصفحا وعفوا، كقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ ولِيٌّ حَمِيمٌ* ومَا يُلَقَّاهَا إلاَّ الَذِينَ صَبَرُوا ومَا يُلَقَّاهَا إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

(1) تفسير القرآن العظيم ابن كثير، 2/608-609.

(2) سورة الرعد، آيات 20-24.

لهذا قال مخبراً عن هؤلاء السعداء المتصفين بهذه الصفات الحسنة بأن لهم عقبى الدار(1). **صفات عباد الرحمن:**

- قوله تعالى: ﴿ وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا، وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (2).

هذه صفات عباد الله المؤمنين:

1 - ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾: أي بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار، كقوله : ﴿ولا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ﴾ الآية، فأما هؤلاء فأنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تطوى له .. وإنما المراد بالهون هنا السكينة والوقار، كما قال رسول الله عليه وسلم : إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم السكينة، وأتوها وعليكم السكينة فما أدركتم منها فصلوا، وما فاتكم فأتموا".

2 - ﴿وإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾: أي إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلما، وكما قال تعالى: "وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه" الآية.

3 - ﴿والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وقِيَاماً﴾: أي في طاعته وعبادته كما قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وقوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ ويَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ الآية.

4 - ﴿والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾: أي ملازماً دائما : يعني ما نعموا في الدنيا، إن الله تعالى سأل الكفار عن النعمة فلم يردوها إليه، فأغرمهم فأدخلهم النار ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً ومُقَاماً﴾، أي بئس المنـزل منظراً وبئس المقيل مقاماً.

5 - ﴿والَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾: الآية. أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم، فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا.

ومن صفاتهم أيضاً:

6 - ﴿والَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾.

7 - ﴿ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بِالْحَقِّ﴾.

8 - ﴿ولا يَزْنُونَ﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الذنب أكبر؟ قال: "أن تجعل لله أنداداً وهو خلقك" قال: ثم أي؟ قال: "أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك " قال: ثم أي؟ قال: "أن تزاني حليلة جارك " قال عبد الله: وأنزل الله تصديق ذلك: "والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر" الآية(3).

* وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ، تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(4).

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 789/2.
(2) سورة الفرقان، آيات 63-67.
(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 521/3.
(4) سورة السجدة، آيات 15 -17.

يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي إنما يصدق بها ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي استمعوا لها وأطاعوها قولاً وفعلاً ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي عن اتباعها والانقياد لها كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، ثم قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة، قال مجاهد والحسن في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ يعني بذلك قيام الليل. وعن أنس وعكرمة ومحمد ابن المنكدر وأبي حازم وقتادة: هو الصلاة بين العشاءين. وعن أنس أيضاً: هو انتظار صلاة العتمة. رواه ابن جرير بإسناد جيد. وقال الضحاك: هو صلاة العشاء في جماعة، وصلاة الغداة في جماعة "يدعون ربهم خوفاً وطمعاً" أي خوفاً من وبال عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه "ومما رزقناهم ينفقون" فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ، كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الصبح

أرانا الهدى بعد العمى، فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين [illegible](1)

ومدار الأمر في كل هذه الصفات تنبع من:

طاعة الله ورسوله: ولقد جاءت هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(2).

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.يتضح من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (3).وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى بطاعته أولاً، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله ثانياً فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء. ثالثاً: على قول الجمهور وأبي هريرة وابن عباس وغيرهم(4).

الخاتمة:

بان لنا من خلال الدراسة أن المؤمنين هم الصنف الأول من أصناف الناس كما بينهم سبحانه وتعالى في أول سورة البقرة، فقد ذكرهم سبحانه في الأربع الآيات الأولى في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

كما بينت الدراسة أن المؤمنين كلمة جامعة تشمل المسلمين والمتقين، حيث وصف سبحانه المتقين بأركان الإيمان، وأركان الإيمان لا تتم إلا بأركان الإسلام، وأن الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه، وبينت الدراسة أم من كانت حالته كذلك فلابد أن يتصف بصفات، هذه الصفات هي مدار الدراسة، حيث قسمت الدراسة هذه الصفات إلى قسمين، وإن كانت هذه الصفات متداخلة بحيث يصعب فصلها لكن الدراسة قسمتها من حيث الأقرب إلى الصفة:

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 731/3.
(2) سورة التوبة، آية 71.
(3) سورة النساء، آية 59.
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 259/5.

القسم الأول: الصفات القلبية:

وكشفت فيه الدراسة عن الأقرب إلى القلب. لكن الدراسة بينت قبل الحديث عن هذه الصفات معنى التقوى ومراتبها حيث ذكرت أن للتقوى معاني منها:

أن التقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة.

أن التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما فرض الله.

أنها ترك ما لا بأس به حذراً من الوقوع فيما فيه بأس.

وغير ذلك من المعاني التي بينتها الدراسة في موضعها.

كما بينت أن للتقوى مراتب ثلاث:

الأول: التوقي من العذاب المخلد بالتبرؤ عن الكفر.

الثاني: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر.

الثالث: أن يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل، ويتبتل إليه بكليته.

ثم حددت البواعث على التقوى ودرجاتها لتقف بنا الدراسة على صفات المؤمنين، حيث أوضحت الدراسة أن أول تلك الصفات القلبية:

صفة الإيمان: وبينت معنى الإيمان وأنه ينقسم قسمين:

إيمان بالغيب: وهو الأصل: وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

إيمان مطلق: حيث بينت الدراسة أن الله أطلق الإيمان في كثير من الآيات ولم يقيده وذلك لأن متعلق الإيمان كان معروفاً عند المخاطبين وهو الله تعالى وصفاته التي ورد بها النقل الصريح وأثبتها العقل الصحيح.

وقد بينت الدراسة في هذا القسم معنى الإيمان وشعبه التي تتفرع من أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن وهذه الشعب تشتمل على أهم الصفات للمؤمنين.

ثم بينت الدراسة أنه يستتبع صفة الإيمان صفات أخرى كصفة وجل القلوب، والخشية، والخشوع والخضوع وكظم الغيظ، صفة التوكل على الله إلى غير ذلك من الصفات.

أما القسم الثاني: وهو الصفات العملية:

فقد بينت الدراسة أن أول هذه الصفات وهي التي جمعت جميع الصفات العملية هي صفة العمل الصالح: وفيه كشفت الدراسة أن العمل الصالح معروف عند الناس بالإجمال وذلك كاف في الترغيب فيه وجعله تابعاً للإيمان متصلاً به ولازماً من لوازمه، فلو دل الإيمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الإيمان تكراراً، ولذلك قيل : إن الجنة تنال بالإيمان والعمل الصالح، وقيل: الجنة تنال بالإيمان والدرجات تستحق بالأعمال الصالحات.

وقد بينت الدراسة أن من العمل الصالح تنبثق صفات أخرى كثيرة منها : إقامة الصلاة : وبينت الدراسة أن لإقامة الصلاة وجوهاً:

أحدها: أن إقامتها تعديل أركانها وحفظها من أن يقع خلل في فرائضها وسننها وآدابها.

ثانيها : أنها عبارة عن المداومة عليها كما قال تعالى : "والذين هم على صلواتهم يحافظون" إلى غير ذلك مما بينته الدراسة.

كما بينت الدراسة صفة إيتاء الزكاة وهي من أشد الصفات ارتباطاً بصفة إقامة الصلاة، ذلك إن أكثر آيات القرآن الكريم التي ذكرت فيها صفة إقامة الصلاة ارتبطت بها صفة إيتاء الزكاة: وصفة إيتاء الزكاة قرر العلماء أنها صلة ثالثة في وصف المتقين، باعتبار أن الصلة الأولى: الإيمان بالغيب، والصلة الثانية : إقامة الصلاة، وهذا إنما يحقق معنى التقوى وصدق الإيمان من بذل عزيز على النفس في مرضاة الله، لأن الإيمان لما كان مقره القلب ومترجمه اللسان كان محتاجاً إلى دلائل صدق صاحبه وهي عظائم الأعمال من ذلك التزام آثاره في الغيبة الدالة عليه "الذين يؤمنون بالغيب" ومن ذلك فعل الصلوات لأنها دليل على تذكر المؤمن من آمن به، ومن ذلك السخاء ببذل المال للفقراء امتثالاً لأمر الله تعالى.

وانطلاقاً من بذل المال، والمال لا يتأتى إلا من الرزق وقفت الدراسة على معنى الرزق لغة واصطلاحاً، وبينت أن الرزق معناه عند أهل السنة: ما صح الانتفاع به حلالاً كان أو حراماً، وقيل أن الرزق ما يناله الإنسان من موجودات هذا العالم التي يسد بها ضراوته وحاجاته وينال بها ملائمة. ويستتبع ذلك أنه لابد أن تكشف الدراسة عن معنى الإنفاق وأنه في اصطلاح العلماء إخراج المال من اليد. ثم أوقفتنا الدراسة على ما أعده الله سبحانه من جزاء لمن كانت صفته هذه.

كما أوضحت الدراسة صفة أخرى عملية من صفات المؤمنين هي : صفة ذكر الله وأن العلماء ذكروا أن معنى الذكر: ذكر الله باللسان عند الذنوب فاستغفروا لذنوبهم أي طلبوا الغفران، كما أوضحت لنا جزاء الذاكرين الله تعالى.

كما بينت الدراسة أن للذكر خاصية أخرى وهي اطمئنان القلوب بذكر الله . كما حددت الدراسة أنه تنبثق صفة أخرى من صفة الذكر وهي **صفة الاستغفار وقسمته ثلاثة أقسام:**

1- الاستغفار من الذنوب

2- الاستغفار من نزغ الشيطان

3- الاستغفار المطلق

كما كشفت لنا الدراسة صفة أخرى وهي صفة الجهاد في سبيل الله وقد بينت الدراسة في هذه الصفة:

ما ترشد إليه الآيات التي وردت في الجهاد.

حكمة تشريع الجهاد.

الأخبار الواردة في شأن الجهاد.

جزاء المجاهدين.

ثم تلت هذه الصفة صفة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وبينت الدراسة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به وأنهت الدراسة صفة الأمر بالمعروف ببيان حكم.

ثم استعرضت الدراسة الصفات الواردة مع صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها : صفة التائبون - صفة العابدون - صفة الحامدون - صفة السائحون وصفة الراكعون الساجدون.

كما بينت الدراسة أن من صفاتهم: رعاية الأمانة والعهد، ثم بينت صفة العفو عن الناس . ثم تلت هذه الصفة صفة صلة الرحم وصفة اجتناب الكبائر، ثم صفة المسارعة في الخيرات، ثم صفة عدم شهادة الزور: وعدتها الصفة السابعة من صفات الرحمن التي بينتها الدراسة . ثم بينت أن من صفاتهم أيضاً: صفة الإعراض عن اللغو، وصفة حفظ الفرج، وصفة الشورى، وصفة الأثرة.

وإكمالاً للفائدة عرضت الدراسة: الآيات التي اشتملت على جمع من الصفات كقوله تعالى : "الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار؛ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار" وذلك في نماذج مما ورد في النص القرآني.

وختمت الدراسة ببيان أن مدار كل هذه الصفات ترجع إلى طاعة الله و طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن كانت صفاتهم هذه وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب "سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين".